

# المجلة

بذرة المعرفة والعلم والفن

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire  
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها  
ورئيس تحريرها السنول

احمد حسن الزيات

الورادة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين  
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نعم المبدد ٢٠ ملياً

الاعتمادات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٤٣ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٣ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

## العدل الانساني

### في جرائم الحروب

الأستاذ عباس محمود العقاد

كان بعض النقاد الأوربيين يكتبون عن حروب الإسلام الأولى فيذكرون فيها في معرض النقد أن النبي عليه السلام كان يأمر بعقاب المشركين الذين أساءوا إلى المستضعفين كلما ظفر بهم بعد معركة من المعارك ، ويحسبون أن عقوبة المقاتل لا تجوز لحصمه لأنه غير مسئول أمامه في شرعة القانون .

ومن الواضح أن هؤلاء النقاد قد نسوا أو تناسوا أن الأنبياء مطالبون بإصلاح الفساد حيث كان وليسوا هم حكومة من الحكومات تحاط دعوتهم بالأقاليم والحدود ، فيجوز لهم على هذا الاعتبار ما ليس يجوز لساسة الدول وقواد الجيوش .

ولكن نشاء الأيام — بعد أربعة عشر قرناً — أن يأخذ الأوربيون بمبدأ مآقية المقاتلين الذين يقتطفون الجرائم سواء في ساحة القتال أو في غير ساحة القتال ، وأن يبنوا ذلك على قاعدة مقررة لا يكثر الخلاف عليها ، وهي أن الدول تسأل عن جرائمها وسيئتها ، فلا موجب لأن يلقى أفرادها — أو أجزاؤها — من العقاب ، ولا يصح أن يخلطهم من التبعة بهم كانوا مأمورين

مكرهين على الطاعة . فإن التهم المكره لا يعنى من العقاب ، وإن جاز أن تلاحظ حالة الإكراه في تقدير عقابه ، إذا ثبت أنه كان مسوقاً إلى الجناية بأمر رؤسائه وأصحاب السلطان عليه . فالآن يجوز للخصم المقاتل الذى لا يطالب بما يطالب به الأنبياء من تعميم الإصلاح — أن يحاسب خصمه ويعاقبه على الجرائم التى تخالف القانون فى بلاده . فإن كان القانون فى بلاده لا يحرم الجرائم النكراء فقد سقطت حقه فى حماية الإنسانية وحماية الشريعة ، وجاز أن ينال العقاب على هذا الاعتبار .

أما الجرائم التى يحاسب عليها المقاتلون فى القتل والتحرير عليه ، والقدر فى طلب الإيواء أو اصطناع المرض والإصابة ، واستخدام السموم والأسلحة المتفق على منبها ، والإجهاز على الجرحى المستسلمين ، والقسوة على الأبرياء والمصابين بالجروح والأمراض أو اختلاس أموالهم التى لا تعتبر من الأموال الممومة ، والتبيل الميب ببحث القتل والأموات ، والاعتداء على المستشفيات والمعابد والمدارس ومخلفات الفنون والآثار ، وإغراق السفن المستسلمة وتخريب المدن المفتوحة التى لا يدافع عنها ، واتخاذ ملابس الجيش الآخر للفخر والتعزير ، ونقض المهود أو شروط التسريح .

هذه وأمثالها هى الجرائم التى تجيز الدول اليوم أن يساق مرتكبوها إلى القضاء ، وأن يتلقوا عليها عقاباً قد يصل إلى الموت

فإذا قامت هذه المحاكم يجب أن يباح لكل إنسان في أمة  
متهمة أن يتقدم إليها بالشكوى من الجنايات التي اقترنها الجنود  
المتصرفون ، وأن يدان الجناة بالعقوبات التي يدان بها المهزومون ،  
متى ثبتت جنايتهم بالبرهان الذي لا يقبل المحال .

وموضع الصعوبة هنا أن تعتبر شهادة المهزم لتأييد دعوى  
المهزم وكلاهما موقوفان على النية والشعور ، ولكن الوقائع لا تثبت  
كلها بالشهادات ، وليست الشهادات كلها مع هذا بالتي يلتبس  
فيها الحق والباطل كل الالتباس .

والخطوة الثانية في طريق العدل الإنساني بصدد الجرائم التي  
تتفرق أثناء الحروب أن يؤخذ حق القضاء من الدول المنفردة  
ويوكل إلى هيئة عالمية يتبع في تأليفها نظام لا يغيره للمهزائم  
والانتصارات ، ويعرف أعضاؤها وأصول المقاضاة بين يديها قبل  
أن تعرف مصائر الحروب .

والخطوة الأخيرة — ولعلها لا تحسب من أحلام الخيال —  
أن تفلح الهيئات الدولية والموائين العالمية في منع الحروب وفض  
الخصومات من طريق التحكيم ، فلا حروب ولا جنايات في أثناء  
الحروب ولا محاكمات أو عقوبات من جراء تلك الجنايات .

فإذا كان هذا حلماً من أحلام الخيال فدونه في الطمع أن  
تقع الحروب ولكن على التيفصل الواضح بين المحققين والمبطلين ،  
فيتسنى للعالم كله أن ينصر الحق على المبطل ، وأن يمحصر شرور  
القتال في أضيق الحدود .

منى إن تكن حقاً تكن أعذب منى ! ولا فنى على كل  
حال خير من اليأس الدائم من كل مصير .

عباس محمود العقاد

### وزارة الدفاع الوطني

تقبل العطاءات انفاية الساعة ١٢ ظهر يوم ١٢  
نوفبر سنة ١٩٤٥ عن عملية إقامة أديجات  
بمركز تدريب المدفعية بطريق السويس .  
والشروط بإدارة المشتريات والمقود بالوزارة  
وتمن النسخة منها جنيه مصرى واحد .

٤٣١٨

ولم يعرف عن النبي عليه السلام أنه عاقب أحداً من الشركيين  
على جريمة غير هذه الجرائم وأمثالها ، ولا سيما القدر ونقض الكلمة  
وتعذيب المستضعفين .

وتقول إن الدول الحديثة قد صنعت خيراً بتقرير هذا البدأ  
السليم في جرائم الحروب ، وأن العمل بهذا البدأ سيفيد بعض  
الفائدة وإن لم تمتنع به الجرائم كل الامتناع ، لأن الجندي الذي  
يستحضر هذه العقوبات وهو يحمل السلاح خليف أن يتورع عن  
العدوان مخافة القصاص عند الهزيمة ، وهو لا يأمن الهزيمة كل  
الأمان ولا يضمن النصر في جميع الأحوال .

وليس من الظلم أن يحيق العقاب بمن يؤمر فيطيع ، لأن  
الرجل الذي يمثل بالأبرياء ويهتك الأعراض ويقترب المحرمات لأنه  
أمر بذلك فاطاع لا يعنى من العقاب في وطنه ولا يخليه من التبعة  
أن يحيل الذنب على أمره . فلا اختلاف في الأمر إذا حمل السلاح  
وتجرد للقتال .

وإما الظلم في رأينا أن يقصر على المجرمين في الأمم المهزومة  
دون المجرمين في الأمم الناصرة ، لأن الذي يعاقب على الذنب  
أولى أن يتجنبه ولا ينفى عنه ، وإلا سقطت حجته في الإدانة  
وتوقيع الجزاء .

نعم إنه منطوق الواقع الذي تقرره القوة ، ولكن حكم القوة  
وحكم الشريعة لا يتفقان ، فلا شريعة حيث يفعل القوى ما يشاء ،  
ولا قوة حيث يجرى العدل في مجراه .

وربما تعذرت التسوية بين المهزومين والمتصرفين في الوقت  
الحاضر أو في وقت قريب ، لأننا لا نزال قريبين من أحكام  
الحرب التي لا تحرم على المقاتل وزراً يقتصره في حق إنسان يناسبه  
العداء أو يلقي له يد السلم على ملا من الناس .

ولكننا نرجو أن تبلغ الإنسانية هذه المرتبة الرفيعة بسد  
خطوات لعلها لا تطول .

وأول هذه الخطوات أن تقام في بلاد المتصرفين أنفسهم  
محكمة على مثال محكمة القناصم التي تفصل في المنازعات بين  
حكوماتها وبعض الأفراد الخائدين أو المنسوين إلى الأعداء .  
فقد حدث غير مرة أن قضت هذه المحاكم المستقلة على حكوماتها  
بالفرامة والتمويض ، فكان نخر الحكومات بقضاها المستقل  
أقنع للأمة من كل مال تخسره في ساحة القضاء .

## في إرشاد الأريب

### إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١٤ —

——————

\* ج ١٣ ص ٣٠ :

غبتنا بلادنا عن الخلق كلهم وإن ما الفنى إلا عن الشيء لا به  
وجاء في الشرح : أن مخففة من إن ، إسما عنون والجملة  
بمعناها خبر مفيدة للحصر .

قلت : وليس الفنى إلا عن الشيء لا به .

وقائل الشعر هو علي بن الحسن القسبي الثاني . قال ياقوت :  
كان يميل إلى علوم الأوائل ، ويدمن النظر في الفلسفة ، فتدح  
في دينه ، ومقت لذلك . . .

\* ج ١ ص ٢٥٦ : كان (إبراهيم بن محمد نفطويه) عالماً  
بالعربية واللغة والحديث ، أخذ عن ثعلب والمبرد . قال المرزباني  
في المقتبس : وكان يخضب بالوسمة . وكان من طهارة الأخلاق  
وحسن المجاسة والصدق فيما يرويه على حال ، ما شاهدت عليها  
أحدًا من لقيناه .

قلت : في (المسحاح) : الوسمة بكسر السين العظم يُختضب  
به ، وتسكينها لغة . وفي (التاج) : قال الأزهري كلام العرب  
الوسمة بكسر السين . قاله القراء وغيره من النحويين .

في (الكامل) : قيل لأعرابي : ألا تخضب بالوسمة ؟ فقال :  
لم ذاك ؟ قال : لتصبوا إليك النساء . فقال : أما نساؤنا فما يردن  
منا بديلة ، وأما غيرهن ، فما نلتس صبوتهن . . .

\* ج ١١ ص ٤١ :

أقلوا على اللبوم فيها فإني تخيرتها منهم زُبيرة قلباً  
أحب بني العوام طراً لجنبها . ومن حبها أحبت أخوالها كلباً  
وجاء في الشرح : ولها قلب كقلوب آل الزبير طهارة  
وحفاظ عهد .

قلت : في الأساس : رجل قلب محض واسط وامرأة قلب وقلبة

قلب عقيلة أنوام ذوى حسب ترمى للقائب عنها والأراجيل  
وفي النهاية : كان على قرشياً قلباً أى خالماً من صميم قرش .  
وفي اللسان : يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع ، وإن شئت ثنيت  
وجعت . قال سيويه (١) : وقالوا هذا عربي قلب وقلبا على العفة  
والصدر ، والصفة أكثر .

الشعر هو لخالد بن يزيد بن معاوية في امرأته رملة بنت الزبير  
ابن العوام . وهو مقطوعة روى المبرد منها ثلاثة أبيات (منها  
هذان البيتان) ثم قال : وزيد فيها :

فإن تسلى أسلم وإن تنصري يملق رجال بين أعينهم صلباً  
فَيُروى أن عبد الملك ذكر له هذا البيت ، فقال له : يا خالد ،  
أترى هذا البيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، على قائله لعنة الله ...  
ورواية الكامل (فلا تكثرُوا فيها اللام) (ومن أجلها أحبت)

\* ج ١٨ ص ١٨ : أبو جعفر القاضي الزوزني البجلي  
ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي قال : هو أحد الفضلاء  
المعروفين ، والشعراء المفلحين ، صاحب التصانيف العجيبة المفيدة  
جداً وهزلاً ، والفائق أهل عصره ظرفاً وفضلاً ، المحترم بين الأئمة  
والكبار لقبه مرة ، وللتوق من سخامة لسانه وعقارب هجائه  
ثانية . ولقد رزق من الهجاء في النظم والنثر طريقة لم يسبق إليها ،  
وما ترك أحدًا من الكبراء والأئمة والفقهاء وسائر الأصناف من  
الناس الهجاء ... ومما حكاها لي (رحمه الله) أنه قال : ما وقع  
بصري قط على شخص إلا تصور في قلبي هجاؤه قبل أن أكله  
وأجربه أو أخبر حاله ...

وجاء في الشرح : (سخامة) جمع حمة وهي الحية أو إبرتها التي  
تلدغ بها .

قلت : سخامات بضم الحاء وبالتاء المطولة جمع حمة كسبية . وفي  
طبعة (القاموس) : « حمة » مثل قضاة بالهاء أو بالتاء المقصورة .  
وهو خطأ .

والحمة هي السم كما جاء باللسان . وفي الأساس قوقعة السم

(١) قلت : هذا قوله في (مكتاب) : وهذا شيء ينتصب على أنه  
ليس من اسم الأول ولا هو هو) وذلك نوك : هذا عربي محض وهذا  
عربي قلباً قصار بقرينه دنيا (بكسر الدال : هو ان عرى دنيا) وما أشبهه  
من المصادر وغيرها . والرفع فيه وجه الكلام ، وزعم يونس ذلك ؛ وذلك  
قواك هنا عرى محض وهذا عري فح ، ولا يكون التصح إلا صفة .

وسورته . وفي اللسان : قال بعضهم الإبرة التي تضرب بها الحية والعقرب والزنبور ونحو ذلك أو تلغ بها . وفي (أدب الكاتب) لابن قتيبة : ... حمة العقرب والزنبور يذهب الناس إلى أنها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التي يلسعان بها وذلك غلط؛ إنما الحمة سمها وضرها . وفي (النهاية) : ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة لأن السم منها يخرج .

\* ج ١ ص ١٢٣ :

يا حيائي ممن أحب إذا ما قلت بعد الفراق إلى حيث لو سدت الهوى حياءاً على الصحة (م)

لما نأى لكنت أسوت

قلت : (إذا ما قال) (لو سدت الهوى) (لكنت تموت) كما روى الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج ٦ ص ٣٨ ومثله ما رواه الخطيب وياقوت :

غابوا فصار الجسم من بدم ما تنظر العين له فيا بلى وجه ألقام إذا رأوني بدم حيا ؟ يا خجلتي منهم ومن قولهم ما ضرك الفقد لنا شيا ! \* ج ٩ ص ١٥٢ : ... وكان (أبو علي الحسن بن محمد السقلاني)

يلقب بالجليد في الفضيلتين ، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء ، له رسائل مدونة مشهورة ، قيل : إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن اليساني منها استمد ، وبها اعتد ، وأظنه كتب في ديوان الرسائل له مستنصر صاحب مصر ، لأن في رسائله جوابات إلى القاسميري ..

قلت : البساسيري بالباء كما ضبط في (الوفيات) قال ابن خلكان : أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي وهو الذي خرج على الإمام القائم بأمر الله ببغداد ، وكان قد قدمه على جميع الأمراء وقلده الأمور بأسرها ، وخطب له على منابر العراق وخورستان ، فعظم أمره ، وهابته الملوك ثم خرج على الإمام القائم وأخرجه من بغداد ، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، فراح الإمام القائم إلى أمير العرب محي الدين أبي الحارث صاحب الحديثة وطاعة ، فأواه وقام بجميع ما يحتاج إليه مدة سنة كاملة حتى جاء طغرل بك السلجوقي ، وأتت البساسيري وقتله ، وعاد القائم إلى بغداد ، وكان دخوله إليها في مثل اليوم الذي خرج منها بعد حول كامل ، وكان هذا من غرائب الاتفاق ..

وقال ابن خلكان في سيرة المستنصر : وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أهل بيته ... منها قضية البساسيري فإنه لما عظم أمره ببغداد قطع خطبة القائم وخطب للمستنصر وذلك في سنة (٤٥٠) ودُعي له على منابرهما مدة سنة . ومنها أنه ثار في أيامه على بن محمد الصليحي وملك بلاد اليمن ، ودُعي للمستنصر إلى منابرها . ومنها أنه أقام في الأسر ستين سنة ، وهذا أسلم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس . ومنها أنه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف ، وأقام سبع سنين ، وأكل الناس بعضهم بعضاً حتى قيل : إنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً . وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده وكل من معه من الخواص مترجلين ليس لهم دواب يركبونها ، وكانوا إذا مشوا يتساقطون في الطرقات من الجوع . وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناؤه إلى بغداد من فرط الجوع وذلك في سنة (٤٦٢) وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا ، ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالي من عكا ، وجاء إلى مصر ، وتولى تدبير الأمور فانصلحت .

قلت : (انصلح) في كلام المتأخرين في الشعر والنثر كثيرة . أصلح الله الحال والأفعال والأقوال ... !

\* ج ٩ ص ١٧٥ : وكتب (الحسن بن محمد السقلاني) إلى صادم الدولة بن معروف : أطال الله بقاء الحضرة الصارمية يجرى القدر على حسب أهويتها ، ويعقد الظفر بمزام ألويتها ، وتحلى بذكرها تراث الأيام العاطلة ، وتنجز بكرمها عدات الحظوظ الماطلة .

قلت : الأهوية جمع الهواء ، واليقين أن السقلاني لا يريد هذا المعنى بل يقصد الهوى (القصور) ؛ ومن معانيه (مراد النفس) وهذا يجمع على الأهواء . وهو السجع ، وكلم أصل ، وكلم له من صريع ...

\* ج ١٥ ص ٢١٧ :

تلاحظ عن سحر ، وتسجر من دجى  
وتسفر عن صبح ، وتيسم عن عقد  
وجاء في الشرح : وشعرها السجر ليل ، وشعر مسجر : مسترسل .

## القضاء في الاسلام

قطعة أخرى من محاضرة أقيمت سنة ١٩٤٢ ولم تفسر

### الاستاذ على الطنطاوى

—•••••—

القضاء ، أيها السادة ، مركب وعمر ، ومسلك خطره ، وكيف لعمري يستطيع بشر ، لا يعرف من الأمور إلا ظواهرها ، قد خفيت عنه البواطن ، وحجبت الأسرار ... كيف يستطيع أن يقيم حقيقة العدل ، ويصيب كبد الحق ، ويقوم مقام الرسل والأنبياء ، والرسل يتصلون بالسماء بالوحى ، ويسلمون من المعصية بالمعصية ، وهم مع ذلك لم يؤثروا علم الغيب ، وإمام الأنبياء محمد يقول : إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم لتجتكمون إلى ، ولعل أحدكم الخن

بحجته من صاحبه فأقضى له ، فأما أقضى له بقطعة من النار (١) — وكيف يبدأ له بال ، ويقر له قرار ، ويلتذ بقطعة أو مشرب ، ويطرب ويلعب ، وهو يحمل أثقل عبء حمله إنسان : يريد أن يحقق العدل الإلهى بالوسائل البشرية ، ويقول كلمته هو ، فيسميها كلمة الشرع ، ويصفها بأنها حكم الله ؟

لذلك فرغ الصالحون من القضاء ، وقروا منه فراراً ، ورضوا بالسجن ولم يرتضوه ، وصبروا على الضرب ولم يقبلوه . عرض على آبي حقيقة ثلاثاً ، وهو الإمام الأعظم ، فأباه ، فضرب على إياه تسعين سوطاً وظل على الإياه . وقد سفيان الثوري القضاء ، وشرطوا له الأيماء فيه ، فأتى عهده في دجلة واختفى . وطلب ابن وهب ليولى قضاء مصر ، فجمع إخوانه وأهله فشاوهم فقالوا : أقبله فلعل الله يحى الحق على يديك ! فقال : أكلة في بطونكم ،

(١) أخرجه التتة ، وقد نقلته هنا بالحق .

وجاء في الشرح : المتلقع الذى يرى بالكلام رماً (١) . قلت : (وينشقه مُتَمَقِّبُهُ) وتلقع فعل لازم ، وتعقب تمتد . فى اللسان : واستعقت الرجل وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته . وفى الأساس : وتعقب ماصع فلان : تتبعته ، ولم أجد عن قولك مُتَمَقِّباً أى متفحصاً بئى أنه من السداد والصحة بحيث لا يحتاج إلى تعقب .

قال ابن خلكان : قال أبو العباس بن المريف : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين . قال صاعد بن أحد الجياني فى كتاب أخبار الحكماء — كما روى ياقوت — : أخبرنى ابنه الفضل أن مبلغ تأليفه فى الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو (٤٠٠) مجلد ، تشمل على قريب من ثمانين ألف ورقة ، وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان فى دولة الإسلام قبله إلا لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . ولأبى محمد ابن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر ، وصناعة الخطابة .

(١) قلت فى اللسان : القعة — كهزة — التى ينقع بالكلام ولا شيء عنده وراء الكلام .

قلت : (وتسخر عن دجى) استعمل تسخر استعماله تسفر ، والسخر قبيل الصبح آخر الليل ، فى الأساس : وإثما سخر السحر استعماله لأنه وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفس الصبح . فى التاج : السحر بفتح فسكون وقد يحرك ، ويضم : الرثة . وقيل هو كل ما تعلق بالحقوق من قلب وكبد ورثة .

• ج ١٦ ص ٨٤ : ومن كلام الجاحظ : احذر من تأمن كأنك حذر من تخاف .

وجاء فى الشرح : « فى الأصل فإنك » .

قلت : الأصل صحيح .

• ج ١٢ ص ٢٤٨ : قال أبو مروان بن حيان ... وكان (ابن حزم) يحمل علمه هذا (فى منهب أصحاب الظاهر) (١) ويجادل من خالفه فيه ... فلم يك يلفظ صدعاً (٢) بما عنده بتعريض ، ولا يُرثه بتدريج ، بل يصك به معارضه صك الجنيل ، وينشقه مُتَمَقِّبُهُ إنشاق الخردل ...

(١) منهب داود بن طى بن خلف الأصمهان ومن قال بقوله من أهل الظاهر وغاة القياس والتحليل (الجياني) .

(٢) الأساس : صدع بالحق : جهر به وصرح مفرقاً بينه وبين الباطل (فاصدع بما تؤمر) .

بأنه القاضي الجائر ، يدل على ذلك ما رووه من قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله مع القاضي ما لم يجر ، يسدده للحق ما لم يرد غيره <sup>(١)</sup> . وقد فصل الحنفية فذكروا أن القضاء من فروض الكفاية ، وأن طلبه تعتره الأحكام الخمسة ، فيكون واجباً إذا لم يكن في الأمة من يصلح له إلا واحد ، فطلب القضاء واجب على ذلك الواحد . ويكون مستحباً إن كان فيها سالحون ولكنه أصلح منهم ، ومباحاً إن كان سالحاً له ويصلح له غيره ، ومكروهاً إن كان غيره أصلح منه . وطلب القضاء حرام على من يعلم من نفسه أنه عاجز عنه ، وأن من طعمه الميل مع الهوى ، ومجاراة الناس ، واتباع الغريات

\*\*\*

وليس كل طالب للقضاء يولاه ، وما عمل من أعمال الدولة إلا لتولية شروط ، ولأهله صفات ، باجتماعها تكون التولية ، وبانتفاؤها يكون الرد ، يعملون بها اليوم في بلادنا حيناً وتهملاً أحياناً ، خطأ أو عمداً ، فتوسد الأعمال إلى غير أهلها ، ويدخل فيها غير مستحقين . أما القضاء عندنا ، فباب الدخول إليه أضيق وشروطه أشد ، ولولا ثغرة كانت <sup>(٢)</sup> ، ربما ولج منها الضامر الهزيل الذي يمر من هذا الشق ، فإذا صار من داخل ترعرع وسمن وصار من أرياب المكان وخلاصة السكان ، فإذا عدونا ذلك لم نجد في أصول تقليد القضاء عندنا مفعلاً

وتمالوا قابلوين شرائط تقليد القضاء اليوم ، وقد نص عليها القرار ذو الرقم ٢٣٨ وبين ما اشترطه الفقهاء في القاضي روا أمرها من أمره قريب ، فقد شرط القرار أن يكون القاضي سورياً ، لأن القضاء مظهر من مظاهر السيادة ، وأداة من أدوات السلطان ، فهو يوسد إلى أبناء الأمة تثبيتاً لسيادتها وتقوية لسلطانها . وشرط الفقهاء أن يكون مسلماً ، لأن الجنسية عند المسلمين هي الدين ، وقد منعوا سماع شهادة غير المسلم على المسلم ، لأنها ولاية ، والله تعالى يقول : ( ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ) ، والقضاء بذلك المنع أولى

أردتم أن تأكلوا ديني ؟ ! ثم اختفى وجعل الوالي بطلابه فلا يقدر عليه ، فلما عجز عنه هدم بعض داره . وكان في اختفائه يقول : يا رب ، يقدم عليك إخواني غداً علماء ، حكام ، فقهاء ، وأقدم قاضياً ؟ ! لا يا رب ، ولو قرنت بالمقاريض !

ولم يكن الولاة يفعلون ذلك تشفياً وانتقاماً ممن أبي الولاية ، بل رغبة منهم في صلاح الأمة بتولية خيارها قضاءها . ومن قبل هؤلاء فرّ إياس من القضاء ، فلما تعذر عليه الفرار ووقع بهض به نهضة جعلته عمداً فيه شاعراً ، وجبلاً باذخاً ، وجعلت النسل يضرب به في إساية قضائه ، وحدة ذكائه ، فيقول القائل : إياس ، وبكتني

خوفهم من القضاء أنه عنه لا يدرون ما منبتها ، وبلاء لا يعرفون ما عاقبته ، أيفلحون فيه أم يخرجون منه وقد حبطت أعمالهم . وزاد خوفهم منه ما ورد في أهله من الوعيد ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم شبه صاحبه بالذبوح بغير سكين <sup>(٣)</sup> ، وأنه جعل القضاء ثلاثة : قاضياً في الجنة وقاضيين في النار <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

ينظر هؤلاء بعين الورع ، ونظر غيرهم بمنظار الشريعة ، فأروه كما قال عمر بن الخطاب : فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، وعبادة من أفضل العبادات ، وطاعة من أجل الطاعات ، فرغبوا فيه ، وتقرّبوا إلى الله به . قال مسروق ، الإمام التابعي الثقة : لأن أفضى يوماً بالحق أحب إلى من أن أربط سنة في سبيل الله . واستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : عدل ساعة خير من عبادة سنة . وحديث ابن مسعود : إنه لا حسد ( يريد لا غبطة ) إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالا ، فهو ينفقه في طاعة الله ؛ ورجل آتاه الله علماً ، فهو يملئه ويقضى به . وقال مكحول فقيه الشام في عصره : لأن أكون قاضياً أحب إلى من أن أكون خازناً . ( قال السرخسي ) : لأن الخازن يحفظ على المسلمين مالهم ، والقاضي يحفظ عليهم دينهم . وفسر على رضى الله عنه والعلماء من بعده حديث ناضي النار أنهما : قاض علم علماً ففرض بخلافه ، وقاض جاهل يقضى بغير علم <sup>(٥)</sup> . وفسروا حديث المذبح بغير سكين

(١) كذلك جاء لفظه في كتب الحنفية وأخرجه الترمذي بلفظ آخر

وقال غريب .

(٢) وسدت وهي الجزيرة كانوا لا يشترطون في القاضي يرسل إليها ما يشترط في قضاة غيرها من ولايات الشام وفي ذلك إلى سنوات خلت .

(١) أخرجه أبو داود والترمذي .

(٢) أبو داود

(٣) وأخرج ذلك أبو داود مرفوعاً .



وحاء في البسوط : إن للقاضي أن يجتهد فيما لا نص فيه ، وإنه لا ينبغي أن يدع الاجتهاد في موضعه لخوف الخطأ ، فإن ترك الاجتهاد في موضعه بمنزلة الاجتهاد في غير موضعه ، فكما أنه لا ينبغي له أن يشتغل بالاجتهاد مع النص ، لا ينبغي له أن يدع الاجتهاد فيما لا نص فيه

غير أن الحنفية ذكروا أن أهلية الاجتهاد شرط الأولوية لا شرط صحة التولية ، وأنه يصح قضاء المقلد إذا قضى بفتوى غيره ( الهداية والهندية ) ، أما الفتى ، فأجمعوا على اشتراط كونه من أهل الاجتهاد ، أو النظر في الدليل . قال أبو حنيفة : لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا حتى يعرف من أين قلنا . وهذا متعنى ما تصل إليه حرية البحث ، وما تبينه الروح الاستقلالية في العلم

قال في البسوط : « وإذا لم يكن القاضي من أهل اجتهاد الرأي ليختار بعض الأقاويل ، سأل الفتى ( أى المجتهدين ) ، ونظر إلى أفتهم عنده وأورعهم فقضى بفتواه ، وهذا اجتهاد مثله ، ولا يجعل بالحكم إذا لم يكن له الأمر حتى يشكرك فيه . وشاور أهل الفقه لأنه مأمور بالقضاء بالحق ، ولا يستلزم ذلك إلا التأمل والشورة »

ومهما كان من أمر ، فالأصل في القضاء الاجتهاد ، ولا يكون إلا كذلك ، لأن النصوص معدودة ، والوقائع لا حصر لها ، ولا ينقطع الاجتهاد في المسائل الجزئية أبداً ، ومن قال بسد باب الاجتهاد ، إنما أراد به الاجتهاد في غير موضع الحاجة أو الاجتهاد المطلق ، أما الاجتهاد عند وقوع الواقعة لا بد من معرفة حكم الله فيها ، أو عند تبدل العرف الذى بني عليه الحكم الاجتهادى ، فلم يمنعه أحد ولم ينقطع أبداً ، ولا يقلد في هذا الوطن إلا عصبى أو غيبى كما قال القاضي أبو عبيد على بن الحسين بن حرب :

قال الطحاوى ( أبو جعفر الإمام الحنفى الكبير ) ، وكان كاتب هذا القاضي : كان أبو عبيد يذاكرنى بالمسائل فأجبت يوماً في مسألة فقال لى : ما هذا قول أبى حنيفة ، فقلت له : أيها القاضي ، أوكل ما قال أبو حنيفة أقول به ؟ قال : ما ظننتك إلا مقلداً ، قلت : وهل يقلد إلا عصبى ؟ قال لى : أو غيبى . فطارت هذه الكلمة في مصر حتى صارت مثلاً ، وكان ذلك في أول القرن الرابع

\*\*\*

واشترط القرار ألا يكون القاضي محكوماً بمقوية شائنة ، وأن يكون فاضل الخلق ، واشترط الفقهاء العدالة فيه ، وإن ذهب الحنفية إلى صحة ولاية الفاسق إن لم يجاوز في أحكامه حد الشرع مع تأنيب من يولى فاسقاً

واتفق القانون والشرع على اشتراط صحة الخواص في القاضي ، لأن بها تمييز ما بين الخصوم ، وتمييز الحق من البطل ، وعلى اشتراط الذكورة في القاضي ، ولم يجوز القانون تقليد امرأة القضاء بين الناس ، وقد قال أبو حنيفة رحمه الله يجوز تقليدها القضاء فيما تصح به شهادتها ، أى في الشرعيات والمدنيات دون الجنائيات ، فن لى بأفهام هؤلاء الذين يسمون أنفسهم أنصار المرأة أن الشرع أعطاها أكثر مما يطلبون لها ، وأن مذهبهم يقوم على واحد من شيئين : إما الفعلة وإتفاء ما لا يكون أبداً من تساوى المرأة بالرجل ، وإما المجانة واتخاذ هذه الدعوة مطية يبلتون بها حاجات في نفوسهم

ولم يزلنا التاريخ خلال هذه المصوطلات أن امرأة وليت القضاء ، ولا يكاد يسيخ العقل ذلك ولا الطبع يألفه ، وقد قال الله تعالى : ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ) ، وفروا الفضل بآية العقل والدين

واتفقت قوانين اليوم وأحكام الفقه على اشتراط العلم في القاضي ؛ غير أن القانون أوجب نيله ليسانس الحقوق قاضياً شرعياً كان أو مدنياً

وأكثر الفقهاء شرطوا في القاضي أن يكون من أهل الاجتهاد ، واحتجوا بمحدث معاذ حين أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقال له : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ، فارتضى ذلك رسول الله ، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله إلى ما يرضى رسوله <sup>(١)</sup> ؛ واحتجوا بأنه عليه الصلاة والسلام كان يجتهد فيما لم يوح إليه حكمه ، ويقضى باجتهاده ( ولكن الله لا يقره على الخطأ ) ، وأن الاجتهاد كان جائزاً للمصحابة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام

(١) أخرجه أبو داود والترمذى وقال لا تعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بمتمصل .

سمعت خلاصة الخلاف في هذه المسألة ، وعلمت أن الذريعة هي كون القاضي من أهل الاجتهاد ، والرخصة التي قال بها الحنفية هي جوار كونه قاضياً ، قلنا يا أيها السادة : إنهم كانوا يحتفظون في القاضي هل يجوز له التقليد ، فلم يبق خلاف بيننا اليوم في أن القاضي لا يجوز له الاجتهاد !

ونقل الماوردي ، أن السلطان إذا قال للقاضي قد وليت فلا تحكم إلا بمذهب فلان (من الأئمة) كان الشرط باطلاً ، وكان له أن يحكم بما أدها إليه اجتهاده . ومن الاجتهاد اختيار من يفتي بقوله من المفتين كما جاء في المبسوط .

أما القضاء اليوم فالأهل منه على مذهب (أئمة) الأفرنج ، كأئمة من البرابرة لا دين لها ولا فقه ، ولا كتاب . وقد بدت في سواد هذا الليل خيوط الفجر ، وأوشك أن يفلق الناموس . وأما الشرعي فعلى مذهب أبي حنيفة ، إلا مسائل بأعيانها جرى العمل فيها (في مصر) على غيره ، منها ما عدل فيه إلى قول معتمد في أحد المذاهب الثلاثة ، ومنها ما خولفت فيه المذاهب الأربعة اجتهاداً ورجوعاً إلى دليل كسالة طلاق الثلاث دفعة واحدة ووقوع طلقة واحدة به ، ومنها ما خولفت فيه بلا دليل شرعي كمنع سماع دعوى الزواج ممن لم تبلغ سنها السابعة عشرة أو ما لم تسجل في كتاب وقد مات أحد الزوجين — ولو أنهم اجتهدوا في مصر ونظروا في الأدلة لمان الخطب ، ولكن سيبلهم أن يهوتوا حكماً ، كترويت ابن الإبراهيم مع الإبراهيم ، فيحتالوا عليه ، فيسموه وصية إجبارية ، أو يجحدوا له مستنداً قولاً لمجتهد من المجتهدين الأولين ولو كان مرجوحاً أو منقطعاً سنداً ، فيأخذوا به ، وهذا ما سماه ابن طابدين في رسالته اتباع الهوى .

أما القضاء عندنا فليس فيه ابتداع أو مخالفة إلا في مسألة واحدة ولكننا خالفنا فيها ظاهر القرآن وثابت السنة والإجماع . لا تمجبوا يا سادة قبل أن تسمعوا البيان :

نصت المادة ٧ من ترمار حقوق العائلة على أنه لا يجوز لأحد أصلاً أن يزوج الصغير التي لم يتم الثانية عشرة ولا الصغيرة التي لم تكمل التاسعة . ونص في المادة ٥٢ منه على أن هذا النكاح فاسد . وفي المادة ٧٧ على أن البقاء على الزوجية ممنوع في هذا النكاح فإذا لم يفترقا يفرق بينهما القاضي .

أما خلافها لظاهر القرآن ( وظواهره حجة كما هو محروفي كتب الأصول ) فلقوله تعالى : ( واللاتي يئن من الحيض من نساكنكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم

يحضن<sup>(١)</sup> ) . ففهم من ذلك صحة زواج المرأة وطلاقها قبل بلوغها من الحيض . أما السنة فلزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمائشة في السنة السادسة من عمرها ، والحديث ( كما قال في فتح القدير ) قريب من التواتر . وقد انعقد الإجماع على أن حكمه عام وليس خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بمائشة . وقد زوج الزبير ابنته لقدامة بن مظنون يوم ولدت ، ولم يشكر عليه ذلك أحد من الصحابة مع علمهم به . أفنكاح قدامة بنت الزبير نكاح فاسد يا أيها السادة ؟ أم أنه يجب التفريق بين محمد سيد النبيين وإمام الرسلين ، ومائشة أم المؤمنين ، لأن استمرار حقوق العائلة يمنع بقاءها على الزوجية ؟ أم أنه يزعم أن أحكام الإسلام تبديل ولو نطق بها القرآن وجاءت بها السنة التواترة وانعقد عليها الإجماع ؟

سيقول قائل منكم أو من غيركم إن قانون العائلة وضعه فحول من الملأ ، وعرض على شيخ الإسلام وأمر به السلطان واستند فيه إلى اجتهاد ابن شبرمة وأبي بكر بن الأصب .

لا يا سادة ، إنه لا شيخ الإسلام ، ولا السلطان ، ولا مائة مجتهد يستطيعون مخالفة الكتاب والسنة والإجماع ، وما أحسب قاضياً يخاف الله ويعرف طرق العلم يحكم بغير ما أنزل الله فيصح فيه الوصف بالفسق والظلم والكفر ، وقد وصف الله بها من لم يحكم بما أنزل الله ، فكيف بمن يحكم بخلافه ؟ !

وإني أحب أن أسركم فأخبركم بأن هذه المادة قد وضعت من أكثر من ثلاثين سنة ، ولكن قاضياً واحداً لم يقض بها ، فلم يبق منها إلا سواد الخبز في بياض الورق ، ذلك لتسلوا أن هذا القرآن قد تولى الله حفظه وحمايته « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » وإن قلعة يدافع عنها الله لا يستطيع أن يقتحمها بشر<sup>(٢)</sup> !

### علي الطنطاوي

#### (١) سورة الطلاق

(٢) وعن مع ذلك تصح الناس ألا يزوجوا الصغيرات حتى يبلغن ، وتؤخر عقودهن في المحكمة ، ولا سجل عقباً إلا لبائنة مبلغ الثبالة ، ولكنا لا نقض عقداً أبرمته الشريعة ، ولا نحرم ما أحل الله ، ولا يدون أحد ما في تزويج الصغار من مضرة براها ، بل البيل أن يسوق من شاء الكلام شرعياً أصولياً فينظر في الأدلة وقوتها وما يفهم منها ؛ فإذا صحت الأدلة وكان ذلك جائزاً في الشرع قبلنا لأن المصراع في نظر المسلم يكفل النافع ويهدأ للفاسد كلها ، ولا يقر مقسدة ، والفرق واضح بين عدم تزويج الصغار ، وبين الحكم بفساد العقد بعد عقده ، لأن التزويج القولي أو القاضي إن كانت الولاية إليه له أن يزوج أو يدع ، ولكن العقد إن أبرم منه لا ينقض إلا بموت أو طلاق أو تفريق أمر به الشرع .



## ملحمة الحرب والسلام

دراسة تحليلية لفكرة الحرب وهواها والسلم وأسس

للأستاذ فراد عوض وأصف

\*\*\*

ولما دخلت المسيحية في أوروبا أشاعت احترام الحياة الإنسانية بدرجة لم تعرف في العصور السابقة . وكان المسيحيون في عصورهم الأولى يرون أن القتل في جميع صورهِ خطيئة كبرى . وفي هذا يقول ترشيليو<sup>(١)</sup> Tertulion : هل من الممكن أن يكون لنا حق امتشاق الحسام والسيد المسيح نفسه قد صرح لتلاميذه أن « كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون »<sup>(٢)</sup> .

ولئن كان السيد المسيح قد أمر بطرس بأن يرد سيفه إلى غمده عندما أراد بطرس أن يقاتل أعداء المسيح ، فإنما كان يعنى المسيح بهذا أن امتشاق الحسام محرم على كل جندي في المستقبل . وفي سنة ٣١٤ م صدر أمر بأن يحاكم كل جندي يترك سلاحه من أجل الدين ، وذلك لأن البلاد كانت مهددة بفارات الأعداء . وهكذا ترى أن فكرة الحرب بدأت تعود . وإن آباء القرن الرابع والخامس الميلادى قد أخذوا يبررون امتشاق الحسام ؛ حتى إذا جاء القديس أوغسطين ذهب إلى أبعد من هذا حين أراد تفسير العهد الجديد تفسيراً لا يتعارض مع فكرة الحرب ، وعنده أن السيد المسيح عند ما أمر بطرس بأن يرد سيفه إلى غمده لم يكن يعنى كل جندي وإنما كان يعنى بطرس بالقاتل لأن امتشاقه الحسام لم يكن قانونياً . وينتهى أوغسطين من هنا بقوله : « إذا كان السلام هو الخير الأسمى وكانت مدينة الله قد أقيمت من سلام أزلى فإن الحرب في بعض الأحيان ضرورة لهذا العالم الممتلئ بالخطيئة »<sup>(٣)</sup> .

نجد في كلام القديس أوغسطين تحولاً جديداً في فكرة

يكاد يكون الشعار الثالب في حياة البدائي الأخلاقية هو أن يكون الإنسان سميد الحظ في الحرب يقتل من استطاع من الأعداء . وأنجح الكشوف هو ذلك الذى يهيم للقبائل البدائية اقتناص أكبر عدد من الأجانب والعودة بجماعهم ، يجمعونها في حوز حريز لأنها الثروة التى بها يتفاضلون ، وهى ضمان الشجاعة والشرف التى بها يتقدم البدائي إلى عروسه في غر وخيلاء<sup>(٤)</sup> ...

فإذا انتقلنا إلى شعوب أكثر حضارة وجدنا أن الوحدة الاجتماعية تكبر وتتميز ؛ وكلما قويت الوحدة الاجتماعية ازداد الشعب استنكاراً لجرمة القتل ؛ إلا أن النظرة إلى الأجنبي تظل محظوظة بآثارها الموروثة عن القبيلة . قوانين الملك اين fine تصور لنا كيف كانت حياة الأجنبي رخيصة في بلاد اليونان في العصور الأولى ، فلم يكن له أى حق قانونى . وكذلك كان الحال في الشعوب الرومانية القديمة ؛ فالكلمة اللاتينية Hostis ومعناها عدو كانت تعنى الأجنبي أيضاً . فالأجنبي والعدو يدل عليهما بكلمة واحدة . والذى يدلنا على مدى نظرة هذه الشعوب — ومن شابهها في درجة الحضارة — إلى الأجنبي ، تلك السهولة التى كانوا يقابلون بها حروبهم مع الأجانب . وفي التاريخ المصرى القديم لا نشاهد أية سيحة على الحروب وأهوالها ، وكأنما الحرب ضرورة مادام هنالك أجنبي . وكذلك الحال عند العبرانيين القدماء إذ كانوا يتصورون أن الحياة حق مقصور عليهم وعلى نسلهم . وعند العرب في الجاهلية كانت القبائل تتحارب لأنفسه الأسباب ، ومن ذلك ما يروى عن أيامهم ، فيوم النجاج وتبتل مثلاً كان من

(١) كتاب العرب قبل الإسلام : جورجى زيمان ص ٢٢٧

(٢) L'origine - des idées Morales : Westermarck I p. 354

(٣) أنجيل متى إصحاح ٢٦ آية ٥٢

(٤) L'origine - des Morales : Westermarck I p. 356

(١) L'origine et le developpement des idées Morales

Westermarck Tomé 1 P. 340.

المسيحية ، وأن سلاماً غير عادل أفضل من حرب عادلة .

\*\*\*

وأما الحال عند العرب فقد عرفنا أن الإسلام قد أبطل الكثير من عاداتهم القديمة وجعل القتل جريمة كبرى . وقد نص القرآن الكريم على هذا بقوله : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق » .

ولكن القرآن قد حث من جهة أخرى على مقاتلة الكفرة في ظروف معينة إذ يحق للعرب أن يعتبروا « الجنة في طلال النيوف »<sup>(١)</sup> . وفي هذا يقول الله لنبيه : « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا » وهكذا يكون الإسلام قد أجاز الحرب في ظروف خاصة .

\*\*\*

وفي القرن السابع عشر ظهرت في أوروبا طائفة الموسوعيين Encyclopedists وعلى رأسهم ديدرو الذي استطاع أن يجمع إليه عدداً من أشهر فلاسفة أوروبا من أمثال فولتير وروسو . والفلاسفة — في الانسيكلوبديا — وإن تبأيت آراؤهم قد اتفقوا في مبادئهم للمبادئ الكاثوليكية<sup>(٢)</sup> ولم تكن إذ ذاك سلمية . ولقد قام فلاسفة الانسيكلوبديا بدعوة سلمية معتدلة تختلف عن دعوة ارازم ، وفولتير وإن يكن يعترف بأن الحرب واجبة في بعض الأوقات إلا أنه ينسب عليها ضرورها ويقول إن الذي يجر الناس إليها طمع الأشرار وجشعهم .

ونحن نجد أيضاً عند فلاسفة النهضة الحديثة من أمثال كانت وبنام وروسو نزعات معادية للحرب . ولكن ظهر رد فعل لهذه النزعات ، في نزعة قومية زعم أنصارها أن وحدة عالمية ليست إلا حلماً فظيماً ؛ فليس ثمة ضمان للفضيلة عند عدم الوجود القوميات ؛ وهكذا أخذوا يتفخون في تقديس الحرب لأنها مقياس الحق ولأنها منبع تنبؤ منه الفضيلة فيشتد عودها وتقوى سواعدها . والحرب عند نيتشة قد جلبت للانسانية من الخيرات

(١) Ibid P. 347

(٢) تاريخ المحدث الحديث تأليف سنيوبوس وتعريب دار الهلال ص ٤٦

الحرب عمر أتباعه على تدعيمه قائلين إنه ليس ثمة تعارض بين أن يكون الإنسان مسيحياً وجندياً في الوقت نفسه . وانتهى الأمر بأن يتناول الفارس سيفه من القيس الذي يباركه ويقول له تلك العبارة باللاتينية :

« Serve Christi, Sismiis, In Nomene iPatris Filii Ch Spiritus Sancti Amen » أعني : في خدمة سيدك المسيح تتناول حاكم أيها الجندي باسم الأب والابن والروح القدس آمين . وهكذا أصبح الجندي يمتشق الحسام باسم الله ، والحرب أصبحت قضاء من الله ، والنصر هبة من هباته .

وفي المصور الوسطى أيضاً كانت الحرب قضاء من الله . فاللورد سيكون يرى أن الحرب هي الوسيلة المثلى التي يتجلى بها الحق واضحاً ، إذ يحكم الله عز جلاله بين الأشرار المتنازعين . ويقول لاهوتى في هذا الصدد ، إن الحرب مرآة تقرب إلينا صورة الله « فليس كراثة البارود عطر يستطيع من يتشمه أن يتعرف الحق السماوي في صورته العليا ... »

ولكن النزعة السلمية لم تقدم الانتصار في أوروبا في تلك الآونة ؛ ففي القرن الرابع عشر ظهرت جماعة اللولارد Les Lollards وقالوا إن الحرب في جميع صورها تتعارض مع تعاليم الإنجيل . وإن سلاماً غير عادل أكرم من حرب عادلة . ويقول « ارازم » إن الحرب ليست وحشية غلب بل هي أكثر من ذلك ، لأن الإنسان القاتل أكثر وحشية من الوحش نفسه ، لأن الطبيعة إذا كانت قد هيأت الوحوش للحرب فلها على العكس لم تهيب الإنسان للحرب ؛ ومن ذهب إلى الحرب فليعلن أنه يمتشق الحسام ضد الطبيعة وضد الله وضد الإنسان ...

وجماة الكويكرز ترى أن الحرب أيا كانت تتعارض مع تعاليم الكتاب المقدس ؛ وإذا كانت نهاية الإنسان هي الخلود فإن مستقبل فرد واحد في الآخرة يفوق كل خير وفي لامة بأسرها ...

ومن هنا نرى أن الناس قد انقسموا أمام فكرة الحرب ، في تلك الآونة ، إلى فريقين : فريق يرى أن الحرب مرآة فيها يتجلى الحق السماوي ، وفريق يرى أن الحرب تتعارض مع تعاليم

للضمير الجنى في صورة بطولة وشرف . حتى إذا زالت العوامل الاجتماعية المولدة زالت معها أنواع القتال المختلفة ، وأصبحت نظرة الناس إليها غير تلك النظرة السابقة ...

لذلك ليس بصحيح ما يزعمه بعض العلماء من أن الحرب ضرورة في فطرة الانسان ، فكما أن خلايا الجسم تتحارب فتولد الحياة الفردية ، كذلك يتحارب الناس فتولد الحياة الاجتماعية . إنما الحرب كما أثبت الاستقراء التاريخي ، نتيجة لعوامل اجتماعية خاصة قابلة لأن تزول ، وعندئذ تصبح فكرة الحرب من المعاني المجهولة ، كما أن الكثير من أنواع القتل كالمبارزة بين الأفراد أصبحت مجهولة كل الجهل .

وعند العلامة وسترمارك أن أنصار السلام يزدادون يوماً بعد يوم ، وهكذا عندما تنحصر موجة القوميات — وهي العوامل الاجتماعية المولدة للحروب في عصورنا — ولا يعود الناس ينظرون إلى الحرب والسلام بالنظر القوي ، فإن كل الدلائل تدل على أن الصيحة ضد الاستبداد المنبثقة من القوميات حثيثة ، كما خفت غيرها من سيحات الحروب الخاصة والثار للدم ...

وإن لنا الدليل كل الدليل في أن العالم يتجه نحو وحدة عالمية ، تتلشى عندها الموانع القومية وتختفي معالمها ، وذلك في زوح المذاهب السياسية للبول المتغيرة في هذه الحرب . فالديمقراطية تنعت بأنها مبدأ يملو على القومية Super-national وكذلك الاشتراكية الحديثة في روسيا ( البلشفية ) ليست نبأ قومياً ، وإنما هي ترى في النهاية إلى وحدة عالمية شأنها في ذلك شأن الديمقراطية . ففي حين أننا نرى الفاشيستية والاشتراكية القومية ( النازية ) تنظران إلى وحدة عالمية كحكم فظيع ، ترى أن الديمقراطية والبلشفية تتجهان في جوهرهما إلى وحدة عالمية يسودها الرثام والسلام ...

إن ملحمة الحرب ملحمة طويلة وحافلة ، ولكن لها — ككل قصة في الحياة — نهاية وثالثة ؟

فؤاد هوسيه واصف

لبنانية في الفلسفة

اضعاف ما جلبه الحب الإنساني . وهي عند واسكين أم الفنون وجميع الفضائل المدنية . وقد أصبحت الحياة عند هؤلاء حق يقتصبه القوى من الضيف . وإن الصراع من أجل الحياة بين الأقوياء والضعفاء يستمخض عن الإنسان الأعلى Superman الذي يملو على أعقاب الضعفاء<sup>(١)</sup> ويقضى على جيلهم . إن فلسفة القوميات في الواقع هي فلسفة قوة وحرب وسيطرة .

وبعد سقوط نابليون شاع في العالم الرغبة في سلام طويل . ولكنها كانت فترة قصيرة تلك التي شاع فيها حب السلام استيقظت بعدها صيحة القوميات وتمطشها إلى الحرب والسيطرة .

\*\*\*

عرضنا فيما سبق استقراء عاماً لفكرة الحرب وتحوّلها في أحقاب التاريخ . وإن نظرة واحدة إلى ما أماننا من العناصر كافية بأن تخرجنا بمحنة أشبه بأن تكون يقينية ، إن كان هنالك ثمة يقين في مجال العلم الحديث ...

قد وجدنا أن فكرة الحرب من المعاني الخلقية التي لم تثبت على حال واحدة ، بل اختلفت وتبدلت باختلاف الشعوب والعصور ؛ فبينما نرى الحرب في بعض الأحيان خيراً أسمى بل وضماناً للفضيلة ، نراها في أحيان أخرى شراً مستطيراً ، أولى بالحيوانات الكاسرة منها بالإنسان الأخلاق ...

هذا الاختلاف في نظرة الإنسان إلى معنى الحرب نتيجة لعوامل اجتماعية تشكل الروجدان الأخلاقي فتارة تغلب عليه فكرة الحرب فيراها الإنسان خيراً ، وتارة تغلب عليه فكرة السلام فتبدو الحرب للإنسان شراً ليس بعده شر .

فكرة الحرب إذاً من المعاني النسبية ، تخضع لعوامل اجتماعية معينة تتولد منها وتزول زوالها .

والتاريخ يدلنا على ألوان أخرى من القتال غير الحروب بصورتها الحالية وذلك مثل الحروب الخاصة Les guerres privs والثار للدم والمبارزة بين الأفراد وغيرها . وقد كانت هنالك أنواع من القتال تتولد تحت ظروف اجتماعية معينة ، وكانت تبدو

رأى جبرير في

## حماد الراوية

للأستاذ البييد يعقوب بكر

١ - مخرج البحث

لعل أم ما أقصد إليه في هذا البحث هو تحخيص رواية حماد (أعني روايته للشعر) ؛ فقد أكترت كتب الطبقات من ذكر أخباره والأحداث التي نقلت عليه ، ولكنها لم تعرض لروايته كما تعرض العلماء لمواضيع بحثهم ، ولم تححصها كما يجب أن تححص الأشياء ، وكل ما فعلته أنها اتهمته بالوضع والاتصال وذكرت من أخبار اتصاله الشيء الكثير .

أقول : لعل أم ما أقصد إليه في هذا البحث هو تحخيص رواية حماد . ولكنني قبل أن أعرض هذه الرواية ، يجب علي أن أعرض لحياة هذا الراوية في عصره وللراوية هذا العصر ؛ فلعل اكتناه حياته والرواية في عصره يأخذينا عند تحخيص روايته ؛ ولعله يكشف لنا منها جوانب ما كنا لنفطن لها لولاه ؛ ولعله يكشف لنا عن اللوائح التي حلت به إلى أن يضع إن كان قد وضع حقاً ، أو اللوائح التي جعلت الرواة يتعاملون عليه إن كان هو من الوضع براء .

هذا منهج من البحث لا أشك في أنه سيمصل بي إلى النتيجة الحق . ذلك لأنه منهج قائم على أساس صحيح ؛ فهو يربط بين حماد راوية وبينه إنساناً في ذاته وإنساناً في مجتمع ، وهو يربط بين روايته وعمرى الرواية في عصره . والدراسات الأدبية لا يمكن أن تؤدي إلى الحقيقة ما لم تربط بين من تدرسه وبين نفسه وبينته .

٢ - حياة حماد

يقول ابن قتيبة<sup>(١)</sup> في كتاب المعارف (ص ١٨٣) : هو حماد بن هرمز ؛ وكان هرمز من سبي مكثف بن زيد الخليل ، وكان دليلاً يكنى أبا ليلى . ويقول في كتاب الشعر والشعراء

(١) توفي سنة ٢٧٦ أو ٢٧٠ أو ٢٧٠ هـ

(ص ١٥٧ M. I. De Goeie) : وحماد الراوية مولى مكثف . وفي الأغاني<sup>(٢)</sup> (ج ٥ ص ١٦٤ ط بولاق) أن الأصمى سأل حمادا : ممن أنتم ؟ فقال حماد : كان أبي من سبي سلمان بن ربيعة ، فطرحنا سلمان لبني شيبان ، فولاؤنا لهم .

ويقول ابن النديم<sup>(٣)</sup> في الفهرست (ص ٩١ ط قلوبجل) إنه : أبو القاسم حماد بن سابور<sup>(٤)</sup> بن المبارك بن عبيد ؛ وكان سابور يكنى أبا ليلى ، من سبي الديلم ، سباه ابن عمرو بن زيد الخليل<sup>(٥)</sup> - ووجه لابنته ليلى يخدمها خمسين سنة ، ثم ماتت ، فبيع بمائتي درهم ، فاشتراه عاصم بن مطر الشيباني وأعتقه .

ويقول ياقوت<sup>(٦)</sup> في معجم الأدباء (ج ٤ ص ١٣٧ ط مرجليوث) إنه حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي ؛ مولى بني بكر بن وائل ، وقيل مولى مكثف بن زيد الخليل الكوفي المعروف بالراوية . ويقول ابن خلكان<sup>(٧)</sup> في وفيات الأعيان (ص ٢٤٠ ط باريس) إنه أبو القاسم حماد بن أبي ليلى سابور ، وقيل ميسرة ابن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي .

فظاهر من هذه الروايات الخمس أن حمادا ديلمى الأصل ؛ وأنه - من الموالي ، وإن كان قد اختلف في ولادته : لمن . على أن هذا اختلاف في الظاهر . فنحن إذا أخذنا برواية ابن النديم استبان لنا أن ولاء حماد كان لابن زيد الخليل (ابن عمرو كما يقول ابن النديم ، أو مكثف كما يقول ابن قتيبة وياقوت ، ثم كان لعاصم بن مطر الشيباني . وشيبان بن ثعلبة ، وثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر . وهكذا تفهم تردد ولاء حماد بين ابن زيد الخليل وبني شيبان وبني بكر بن وائل . ولكننا لا نجد بعد هذا تفسيراً لما يقوله حماد من أن أباه كان من سبي سلمان بن ربيعة ، فنحن لا نعرف من هم بنو سلمان هؤلاء .

والديلم - كما يقول هيار Huart في كتابه : Littérature Arabe (ص ٥٨) - هم ذلك الجنس المائل القبي كان يحقر العرب ؛ والتي كان يسكن جبال جيلان الوعرة

(١) توفي أبو الفرج سنة ٢٥٦ هـ

(٢) توفي سنة ٣٨٥ هـ

(٣) في القاموس Shahpur

(٤) كان زعماء الديلم

(٥) توفي سنة ٦٢٦ هـ

(٦) توفي سنة ٦٤٩ هـ

المهدي ٥. حتى أننا نجد في الأقاليم (ج ٣ ص ٨٠) هذه الرواية : « ذكر أبو أيوب السدوسي أن حمادا الراوية حدثه ، قال : رأيت عبد الرحيم النخاف أيام هرون الرشيد بالرقعة ... » ، وهي رواية صريحة الإشارة إلى أن حمادا أدرك عصر الرشيد ، ولكننا لا نستطيع بأي حال من الأحوال أن نرجعها على سائر الروايات التي تقف بحياة حماد قبل عصر المهدي ، أو عن هذا العصر ، بل إننا لا نظن حمادا قد أدرك عصر المهدي كما يقول الرواية التي أشار إليها ابن خلكان . فحماد قد توفي سنة ١٥٦ هـ كما يقول ابن التميمي ، أو سنة ١٥٥ هـ كما يقول ياقوت وابن خلكان ؛ بينما أن المهدي تولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ . والرواية التي يشير إليها ابن خلكان غير صريحة النسبة ، وهي لا تذكر تاريخاً معيناً . وقد رجح تشارلز ليال عما قاله في كتابه الأول ( المقدمة ، هامش ص ٣٩ ) من أن حمادا توفي سنة ١٦٠ هـ ، وجعل يشك في أن حمادا أدرك عصر المهدي ، وهذا في مقدمته لترجمة المفضليات ( ص ١٨ ) .

ويبدو لنا أنه في الكتاب الأول قد أخذ بفهم الرواية التي يشير إليها ابن خلكان ، فافترض سنة ١٦٠ هـ تاريخاً لرواية حماد ، أي بعد ولاية المهدي الخلافة . وهذا افتراض محض ، لأن المراجع العربية لم تذكر هذا التاريخ .

وقال ابن النطاح ( الأغاني ج ٥ ص ١٧١ ، وخزانة الأدب ص ١٣١ ) : « كان حماد الراوية في أول أمره يتشطر ويصخب الصماليك والعصص ، فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأ حماد فاستحلله وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولفات العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ » . وهذه الرواية — إن صحت — تدلنا على طور من أطوار حياة حماد ، لا بد أنه خلف في نفسه أراً ، ولا بد أنه كيف مزاجه تكييفاً خاصاً .

وكان خلفاء بني أمية يقدسون حمادا ويؤثرونه ، وكثيراً ما كانوا يستحضرونه لينشد لهم وليسألوه ، فكان يند عليهم فيجزلون صلته . وروي أنه كان منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك في خلافته ، فأسخط هذا هشاماً أخا الخليفة وولى عهده ؛ فلما تولى هذا الخلافة خاف حماد على نفسه ، فلزم بيته سنة لا يخرج ؛ ولكن هشاماً لم يلبث أن استدعاه إلى دمشق ليسأله عن بيت من الشعر : من قاله ؟ فلما أجابه وأنشده أجازته وأحسن سلته . وهذه

مستقلاً غير خاضع لسلطة ما ؛ والتي استولى على بغداد باسم بني بويه ، فجرد الخلافة من سلطانها الزمنية ، ولم يبق لها إلا سلطة روحية محضاً . وكان لحن حماد يتم من أصله الأعجمي .

وظاهر من هذه الروايات أيضاً أن هناك خلافاً حول اسم أبي حماد . فإن قتيبة يقول إنه هرمز ، وهو في هذا يوافق الجاحظ<sup>(١)</sup> فيما يحكيه عنه السيوطي في الزهر ( ج ٢ ص ٢٠٦ ) وابن التميمي يقول إنه سابور ؛ ويتابع في هذا هيار ( ص ٥٨ ) ، وتشارلز ليال Charles Lyell في كتابه : Translation of Ancient Arabian Poetry ( المقدمة ، هامش ص ٣٩ ) وفي مقدمته لترجمة المفضليات ( هامش ص ١٣ ) : وياقوت يقول إنه ميسرة<sup>(٢)</sup> ، وهو في هذا يوافق التميمي بن عدي فيما يحكيه عنه أبو الفرج في الأغاني ( ج ٥ ص ١٦٤ ) والبغدادى في خزنة الأدب ( ج ٤ ص ١٢٩ ط بولاق ) .

وقد ولد حماد بالكوفة . واختطف في تاريخ ميلاده ؛ فهو عند ابن التميمي ( ص ٩١ ) سنة ٧٥ هـ ، وينقل عنه في هذا بروكباب في كتابه : Geoch. ol. & Litt ( ج ١ ص ٦٣ ) وهو عند ياقوت ( ص ١٤٠ ) سنة ٩٥ هـ ، ويتابع في هذا ابن خلكان ( ص ٢٤١ ) . كذلك اختلف في تاريخ وفاته ؛ فهو عند ابن التميمي ( ص ٩١ ) سنة ١٥٦ هـ ، وهو عند ياقوت ( ص ١٤٠ ) وابن خلكان ( ص ٢٤١ ) سنة ١٥٥ هـ .

وحامد من أغصان القوتين الأموية والعباسية . وتشارلز ليال يقول في كتابه الأول : ( المقدمة ، هامش ص ٣٩ ) : « علا ذكر حماد الراوية بن سابور الفارسي الأصل وجامع الطبقات ومعلم شعر امرئ القيس في دولة بني أمية خاصة ، منذ عهد يزيد الثاني ( يعني يزيد بن عبد الملك ) ( ١٠١-١٠٥ ) حتى سقوطها سنة ١٣٢ ، وبعد ذلك طش في عصرى النصور والمهدي » . فالقبي يؤخذ من قول هذا للبتشرقي أن حمادا لم يدرك عصرًا بعد عصر المهدي ، وهو في هذا يتابع ما روي ابن خلكان إذ يقول ( ص ٢٤١ ) : « وقيل إنه توفي في خلافة

(١) توفي سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) يبدو لتشارلز ليال في مقدمته لترجمة المفضليات ( هامش ص ١٣ ) أن ميسرة — وهو اسم عربي — قد أطلق على أبي حماد ، هرمز أو سابور ، حين ولاته .

قال : أنا ذلك الذي تنقاد به الناس ، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل .

على أن هذه القصة غير صحيحة فيما يبدو لنا . فإن أبا مسلم الجراساني لم يبرز إلى الميدان السياسي إلا سنة ١٢٩ هـ ، أي بعد وفاة الوليد بن يزيد بثلاث سنين . وأغلب الظن أنها من وضع دعاة العباسيين وضموها تشهيراً بالوليد وإظهاراً لما كانت عليه دولة بني أمية من انحلال وما كانت عليه اللبوة العباسية من فتنة . وهكذا يسقط النظر الثاني من اعتراض أرنونك .

ومهما يكن من شيء ، فقد كان حماد ذا حظوة لدى يزيد ابن عبد الملك ، ثم لدى الوليد بن يزيد من بعده . وتفسير هذه الخطوة يسير . فقد كانت الخليفةتان بحبان اللهو والمجون ، وكانا يجدان في حماد ما يوائم ذنبك اللهو والمجون من شمر سافر ومذهب داعر .

على أنه لم يكن ذا حظوة لدى العباسيين . يظهر هذا مما يرويه أبو الفرج (ج ١٢ ص ١٠٢) إذ يقول : « ... كان مطيع بن إياس منقطعاً إلى جعفر بن المنصور ، فطالت صحبته له من غير فائدة ، فاجتمع يوماً مطيع وحماد وعمر بن يحيى بن زياد ، فتذاكروا أيام بني أمية وسعها ونضرتها وكثرة ما أفادوا فيها وحسن ملكهم وطيب دارهم بالشام وما هم فيه ببغداد من القحط في أيام المنصور وشدة الحر وخشونة العيش وشكوا الفقر فأكثروا ... » . ومما يرويه أبو الفرج (ج ٥ ص ١٦٩ - ١٧٠) والبغدادى (ص ١٣٠ - ١٣١) من أن جعفر بن أبي جعفر المنصور بابن السكرية كان يستخف مطيع بن إياس ويحبّه ، وكان منتظماً إليه ، وله منه منزلة حسنة ، فذكر مطيع حماداً وكان صديقه وكان مطرطاً محفواً في أيامهم ، فقال له : انتننا به لئلا نراه ، فأتى مطيع حماداً فأعلمه بذلك وأمره بالمسير إليه ومعه ، فقال له حماد : دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ومالي مع هؤلاء خير ، فأبى مطيع إلا الذهاب به ، فلما أتيا جعفر استنشد هذا حماداً فأنشدته قصيدة جربو التي مطلعها :

بان الخليل برامتين فودعوا أو كلما اعزموا لبين تجزع  
فلما وصل إلى قول سحرير :

وتقول بوزع قد دبت على المصا هلا هزبت بشيرنا يا بوزع  
أبدى جعفر نفوره من لفظ بوزع ، وأمر غلبانه بصفع حماد

القصة مذكورة في معظم المراجع التي بين يدينا ، وهي مذكورة على سبيل المثال في الأغاني (ج ٥ ص ١٦٦ - ١٦٧) ، وقد استغرق ذكرها جُل ما كتبه صاحب زهرة الألباء عن حماد (ص ٤٤ - ٥٠) ، وذكرها السيوطي في تحفة المجالس وزهرة المجالس (ص ٦٩ - ٧١ ط مطر السعادة) . ولكن الأستاذ أرنونك Arendonk ، كاتب مادة حماد الراوية في الموسوعة الإسلامية ، يشك في صحة هذه القصة فهو يرى أنها لا يمكن أن تقع في مثل هذا التاريخ ، وأن سماتها تشبه سمات قصة تروى عن الرايد الثاني (يعني الوليد بن يزيد) الذي كان خاصة يستمع إلى حماد كثيراً . ويشك أبو الفرج (ج ٥ ص ١٦٧) في صحة جانب من هذه القصة ، وهو أمر هشام الجاريتين المذكورتين في القصة بدق حماد الحجر ؛ لأن هشام - كما يقول أبو الفرج - لم يكن يشرب ولا يدق أحد بمحضرتة مسكراً ، وكان ينكر ذلك ويسيه ومقاب عليه . كما أن ابن خلكان يشك في جانب آخر من القصة ، وهو أمر هشام يوسف بن عمر الثقفي باستدعاء حماد ؛ فهو يقول (ص ٢٤١) : « وما يمكن أن تكون هذه الواقعة مع يوسف بن عمر الثقفي لأنه لم يكن والياً بالعراق في التاريخ المذكور بل كان متوليه خالد بن عبد الله القسري » . وفي اعتراض ابن خلكان تفسير للشطر الأول من اعتراض أرنونك .

ويبدو لنا أن قصة حماد مع الوليد بن يزيد التي يشير إليها أرنونك في الشطر الثاني من اعتراضه هي التي رواها أبو الفرج في الأغاني (ج ٦ ص ١٢٨) حيث قال : « ... قال (أي حماد) : دخلت يوماً على الوليد ، وكان آخر يوم لقيته فيه ، فاستنشدني ، فأنشدته كل ضرب من شعر الجاهلية والإسلام ، فاهتد لشيء منه ، حتى أخذت في السخف فأنشدته لعماد بن ذي كنانة مجتبئاً ... فضحك حتى استلقى ، وطرب ودعا بالشراب ، فشرب ، وجعل يستعبدني الأبيات ، فأعيدها ، حتى سكر ، وأمرني بجائزة ، فقلت أن أمره قد أدر . ثم دخلت على أبي مسلم ، فاستنشدني ، فأنشدته قول الأخوة :

لنا معاشر لم يبنوا قومهم

فلما بلغت إلى قوله :

نهى الأمور بأهل الرشدا ما صلحت

وان تولت بالأشرار تنقاد



اليثنين الأول والأخير منها إلى بشار في هجاء حماد مجرد وكانا يتهاجيان ، وللمرتضى في أماليه (م ٩٢ ط صبيح) يذكر رواية يؤخذ منها أن أبا الغول النهشل قال هذه الأبيات — مع اختلاف في صدر البيت الثاني — وبيتاً رابعاً في هجاء حماد مجرد .  
ولما توفي حماد رثاه محمد بن كنانة<sup>(١)</sup> بقوله :

أبعدت من نومك الفراق فا جاوزت حتى انتهى بك القدر  
لو كان يُنجى من الردى حذر نجاك عما أصابك الحذر  
يرحك الله من آخر يا أبا القاسم ما في صفاته كدر  
فوكذا يفد الزمان ويفنى العلم فيه ويدرس الأثر  
وهذه الأبيات يذكرها ابن التديم (م ٩٢) ، ويذكرها ياقوت (ج ٤ م ١٤٠ ط مرجليوث) وابن خلكان (م ٢٤٢ ط باريس)  
الأبيات الثلاثة الأخيرة منها مفيدة بعض الشيء .  
(ابحث بية) البير يعقوب بكر

(١) عالم وشاعر كوفي ، جمع أشعاره في كتاب أسد ، وامتدت حياته من سنة ١٠٢٢ م إلى سنة ٢٠٧ م .

وجرّ وجهه . وقول أرتدك إنه « كان أحد الشعراء الذين خرجوا عن بغداد في عهد المنصور في طلب الماش فذهب إلى الكوفة<sup>(١)</sup> ؛ ولكن يُقال إن المنصور استدعاه ثانية إلى بغداد من البصرة » .  
ومن اليسر علينا أن نقرر إعراض العباسيين عن حماد ورفاقه . فقد كان العباسيون في أول أمرهم يأخذون الحياة مأخذ الجد ، ويصطنعون الصرامة والقسوة ، ويعملون على تدعيم ملكتهم الوليد . وما كان لشل هؤلاء أن يُقبلوا على حماد ورفاقه ، وأن يسوغوا لهم ومجربهم . هنا إلى أن حماداً ورفاقه كانوا من القرين إلى بني أمية ، وما كان للعباسيين أن يقربوا من كان هوام مع أعدائهم .

وقد اشتهر حماد بمجونه واستهتاره وفسقه وسكره . وتجد في الأغاني (ج ٥ م ١٦٩) قصة من قصص استهتاره ، كما تجد سورة من صور فسقه في (م ١٧٠) .

ويقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء (م ٣٠٢ المكتبة التجارية) :  
« وكان بالكوفة ثلاثة يقال لهم المجادون : حماد مجرد ، وحامد الراوية ، وحماد بن الزبرقان النحوي ؛ وكانوا يتماشرون ، ويتنادمون ، وكانوا يرمون بالزينة كلهم<sup>(٢)</sup> ؛ وكان حماد بن الزبرقان عتب على حماد الراوية في شيء فقال :

نعم الفتي لو كان يعرف قدره ويقيم وقت مسلاته حماد هدت مشافره الدنان فأنقه مثل القدوم يستأجر الحداد وبيض من شرب اللدامة وجهه

فبباضه يوم الحساب سواد »  
على أن نسبة هذه الأبيات إلى حماد بن الزبرقان في هجاء حماد الراوية يحوطها الشك ؛ فأبو الفرج (ج ٥ م ١٧١) ينسبها وثلاثة أبيات أخرى بعدها إلى أبي الغول الطهوي في هجاء حماد ، والبغدادى (م ١٣٢) ينسبها — مفيدة قليلاً — إلى أبي الغول الطهوي أيضاً ، وابن خلكان (ج ١ م ٢٩٥ ط مصر) ينسب

(١) يرجع أرتدك في هذا إلى الأغاني (ج ٢ م ٩١) .

(٢) نجد هنا الشطر من الرواية في ياقوت في ترجمة حماد مجرد

(ج ١٠ م ٢٥٠ ط للأشون) ، وفي الأغاني (ج ٥ م ١٦٦) وج ١٣

## الكتاب

### مجلة شهرية

للآداب والعلوم والفنون

تدبرها فخرية الكتاب العربي

ومباركة النهضة الفكرية

يصدر العدد الأول في أول نوفمبر ١٩٤٥

عن دار المعارف للطباعة والنشر بمصر

رئيس تحريرها الأستاذ عادل النضبان

حول نذهب الشيخية :

## بيان حقيقة وإيضاح شبهة

للشيخ عبد الله بن علي الموسوي

قرأت في الرسالة المباركة عدد ( ٦٣٣ ) ما حرره الدكتور جواد علي بعنوان (الفلسفة الإسلامية المتأخرة) قرأته ، ونقه الله وسدده ، قد خالف الحقيقة فيما نسبته إلى الشيخية ورئيسها المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ، فتعجبت غاية التعجب وقلت يا سبحان الله ؛ إن مثل الدكتور جواد علي المروف بالتبصير والصدق والأمانة كيف يكتب خلاف الحقيقة ويسيء إلى التاريخ ويشوه سمعة حتى أتى ظننت أنه ، سلمه الله ، لم يطلع على كتب الشيخ أحمد بن زين الدين ولا على كتب واحد من تلاميذه وأتباعه وما كتبه قد استفاد من عيون غير صافية . وها إنني أبين ما جاء فيما كتبه صواباً وخطأ .

أما قوله : إن الشيخية هم النسوبون إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي فهو حق ، لأن الشيخية هم الذين يقلدون الشيخ أحمد ويأخذون فروع دينهم عنه كما هي سيرة الشيعة الإثني عشرية إلى يومنا هذا . وأما قوله : إن الشيخ أحمد تأثر بأراء الملاصدرا كثيراً فشرح بعض كتبه مثل كتاب المرشدية والمشاعر ، وهو عيال على الملاصدرا فهو مخالف للحقيقة ، لأن الملاصدرا يقول بوحدة الوجود كنجي الدين بن عربي ، والشيخ أحمد عقيدته التوحيد الخالص ، وقد رد على الملاصدرا في شرحه كتابيه : المرشدية والمشاعر ، لا أيده ، والشرحان مطبوعان وبإمكان كل منصف طالب الحقيقة النظر فيما ليمر في حقيقة الأمر ؛ كما أن الشيخ أحمد في كتابه شرح الزيارة ذيف آراء محيي الدين وعقيدته في وحدة الوجود ، تجد ذلك في (صحيفة ٢٢) من كتاب شرح الزيارة طبع سليمان خاقلن . فاقول بأنه عيال على الملاصدرا بعيد عن الإنصاف جداً .

قوله : وبالنظر إلى ما كان يظهره من غلو في بعض الآراء نفر الناس عنه فالتمس الشيخ أحمد حامياً له ومعيماً ، وكان ذلك

الحامي هو الأمير محمد علي بن فتح علي شاه إلى آخر عبارته ( اعلم ) أن الشيخ أحمد لا غلو في آرائه ، وكانت آرائه مستفادة من كتاب الله سبحانه وسنة نبيه وأحاديث آل البيت الإثني عشر ، وتلك المصادر لا غلو فيها .

نعم إن الشيخ أحمد لما كانت له درجة رفيعة في العلم وكان ورعاً تقياً زاهداً عابداً لا همة له سوى إرشاد الناس وصلاحهم صارت له لدى الملوك والأمراء منزلة لا بأس بها ، فأحب السلطان فتح علي شاه إقامته في طهران لما زارها وألح عليه فاستمع الشيخ أحمد عليه امتناعاً شديداً ورجع إلى يزد بعد أن زار خراسان ، ثم بعد ذلك عزم السفر إلى زيارة آئمة العراق ، ولما وصل إلى أصفهان أوفد الأمير محمد علي جماعة إلى أصفهان يستقبلونه وكان إذ ذاك في كرمانشاه والياً ، ولما قارب الشيخ كرمانشاه خرج الأمير وحاشيته وجنوده ورعاياه لاستقباله وقد طلب من الشيخ الإقامة في كرمانشاه فوعده بالإقامة بعد رجوعه من العراق ، وبعد أن رجع أقام في كرمانشاه يدرس العلوم الدينية ويوضح الشريعة المحمدية .

هذه قصة الأمير محمد علي ميرزا ومن أراد الاطلاع عليها أو على غيرها فعليه بكتاب هداية الطالبين المطبوع في إيران . قوله : يروي عن الشيخية أن الإمام تجلي السيد كاظم الرشتي في ليلة من الليالي وكان عمره إذ ذاك إثني عشر عاماً وأشار عليه بوجوب الذهاب إلى مدينة يزد والاتحاق بحاشية الشيخ أحمد ، ما أدري من أين أخذ دكتورنا هذه الرواية وعلى من اعتمد في نقلها وبني كانت الشيخية تعتمد على أمثال هذه المزخرفات وإن كان ما يرويه الدكتور جواد علي حقاً فليذكر الكتاب الذي فيه هذه الرواية .

قوله : ولما غادر الأحسائي إيران ثم ترك الثياب المقدسة في العراق لأداء فريضة الحج توفي في الحجاز ودفن في المدينة في جوار قبور الأئمة بالبقيع سنة ١٢٤٣ ، الصحيح أنه توفي سنة ١٢٤١ لا سنة ١٢٤٣ للهجرة .

قوله : وأصبح السيد كاظم الرشتي خليفة الأحسائي والنايب منابه . نعم إن الشيخية لما فقدوا الشيخ أحمد ورأوا السيد كاظم الرشتي عالماً فاضلاً ورعاً تقياً صادقاً أميناً قلبوه وأخذوا الأحكام القرعية عنه ، حتى أن الشيخ أحمد الأحسائي خلف ولدين وهما :

ولو لا الإطالة لسطرت من مزخرفاته التي أنزلت عليه في قرآنه بزعمه الذي سماه الذكر والبيان ما يهتدى به الطالبون ، وأن ميرزا علي محمد أنكر شريعة سيد المرسلين وأسقط عن أتباعه الصلاة والصيام والحج والزكاة كما في قرآنه المزخرف وغيره من رسائله ، وأول من زيف مزخرفاته ورد عليه وكفره بها هو زعيم الشيخية وعالمها المرحوم الحاج محمد كريم خان ، وقد كتب في ذلك رسائل عربية وفارسية ، وقد كان الميرزا علي محمد في قرآنه المزخرف يحرم على أتباعه النظر في كتب الشيخ أحمد والسيد كاظم وبنهما عن مطالعتها ، منها قوله في أول سورة من مزخرفه : « من اليوم اتقى قرى عليكم كتاب ربكم كتاب البيان حرمتا عليكم يا حروف كلمة البيان ومظاهر النقطة البائرة في هويات الظهور إلى تفسير الزيادة وشرح الخطبة وكل ما كتب الأحمد يمينه والكاظم يمينه كما حرمتا على الدين من قبلكم النظر إلى عورات أمهاتكم وأن هذا من فضلنا عليكم وعلى الناس لعلهم يحذرون » فهل يا ترى من الإنصاف لتدين يدعى الإنصاف أن يتهم الشيخية بفكرة البائية ويجعل البائية عيالا عليهم ، وما أدري ما يجيب إذا سأله الله سبحانه يوم فصل القضاء عن ذلك فليستمد للجواب . وأما قوله : ولا سيما في نظرتها إلى الإمام المهدي ، فاعلم أن الشيخية لا عقيدة لهم في المهدي كمقيدة البائية ، بل عقيدتهم في الأئمة الإثني عشر عقيدة الشيعة الإثني عشر وهم : علي بن أبي طالب وولده الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وموسى بن جعفر الكاظم وعلي بن موسى الرضا ومحمد بن علي الجواد وعلي بن محمد الهادي والحسن بن علي العسكري ومحمد بن الحسن المهدي فلا يغيرون ولا يبدلون ؛ فالشيخية إن اعتقدوا أنهم يزداد عليهم فيكونون ثلاثة عشر أو ينقص منهم فيكونون أحد عشر ، وكذلك إن اعتقدوا بأن المهدي ليس هو محمد بن الحسن وإنما هو نوعي فليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وإن افترى عليهم أحد بذلك فلن الله من افترى ، وقد جاءت الرواية عن الرسول (ص) من طريق الشيعة وطريق إخواننا السنة بمدحهم وأسمائهم وأسماء آبائهم في مائة وخمسة وستين حديثا وقد رواها الترمذي في كتابه (غاية الإرغام) ، وإن كانت ما يحوله

الشيخ محمد تقي والشيخ علي وقد كانا عالين فاضلين إلا أنهما رحمهما الله لما لم تكن درجتها العلمية في نظر الشيخية كدرجة السيد كاظم الرشتي قلده وأعرضوا عن تقليدها ، وكذلك لما توفي المرحوم السيد كاظم الرشتي خلف ولده المرحوم السيد أحمد وكان أيضا عالما فاضلا وله من المال ما لا بأس به ، إلا أن درجته العلمية لما لم تكن موازية لدرجة المرحوم الحاج محمد كريم خان قلدها الحاج محمد كريم خان ، وذلك دليل تدينهم وعدم تأثرهم بالماديات وغيرها وذلك لا عيب عليهم فيه .

قوله : إلى أن توفي الرشتي بمرض أصابه ببغداد دون أن يتمكن من النص على تعيين شخص يكون خليفته من بعده وزعيم الشيخية الديني المطاع بالنص والتصين .

يا سبحان الله ما أعظمها من فرية ما أدري من أين اقترن الدكتور هذه التهمة التي اتهم بها الشيخية ، ومتى كانت الشيخية تمتد بأن زعيمها الديني لا بد وأن يكون منصوبا عليه من سابقه ؛ وفي أي كتاب من كتبهم اعتقدوا ذلك ، ولذلك فليحسن الدكتور إلى التاريخ وليوقفنا عليه من كتب الشيخية أنفسهم لا من أقوال المفتين نكون لسعادته شاكرين .

نعم عقيدة الشيخية في التقليد هي عقيدة المجتهدين من الشيعة الإثني عشرية فكل من رأوه قسما عالما عاملا تقيا نقيًا قلده وأخذوا أحكام دينهم منه ، وذلك ما نص عليه الإمام جعفر من آل البيت بقوله : أما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا أهواءه مطيعا لأمر مولاه فللموام أن يقلده ، ولا أمتهم أنهم يختارون تقليد الأعلام .

قوله : فانصرفت جماعة منهم إلى الميرزا علي محمد الشيرازي إلى أن قال والبائية عيال على الشيخية في آرائها وأفكارها المنالية ولا سيما في نظرتها إلى الإمام المهدي وعلاقة الإمامة بالإنسان ؛ أظن أن الدكتور لم يطلع على كتب البائية وآرائها كما أنه لم يطلع على كتب الشيخية وعقائدها ، ولو اطلع على الكتبين والعقيدتين لما افترى على الشيخية ولما ألحق البائية بالشيخية ، فإن ميرزا علي محمد الشيرازي ادعى البائية للإمام مرة ، وادعى أنه المهدي الذي يخرج بالسيف قارة ، ومرة ادعى أنه يوحى إليه وقد أنزل عليه بزعمه كتاب كالقرآن نموذجًا لله ، وقارة ادعى الأيومية ،

وظلمهم وسيمم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وأما علماؤها فقد ملأوا الأصقاع والبقاع بتصانيفهم ومؤلفاتهم في أغلب العلوم والفنون حتى أنها من زمان الشيخ أحمد الأحصاني إلى الآن تزيد على ألف مصنف ومؤلف . ( قوله ) ومع ذلك فلا زالت هنالك جماعة صغيرة مشتتة بين العراق وإيران وسواحل الخليج تنتمي إلى مذهب الأحصاني ولكنها لا تتظاهر بذلك . ولا تجهر به

هذه النبذة الأخيرة التي سجلها الدكتور يقصد بها الإزراء على الشيعة والظعن عليهم في أنهم جماعة صغيرة فأراد أن يطمئن عليهم بقتلهم مع أن الناطق هو الحق فلا تجدى الكثرة نقداً إن كان أصحابها مبطلين ، كما أن القلة ليست بضائرة إن كان معتقوها محقين . وقد مدح الله سبحانه القلة في مواضع كثيرة من كتابه كقوله : ( قليل من عبادي الشكور ) وكقوله : ( وما آمن معه إلا قليل ) .

( وأما قوله ) سلمه الله : لا تتظاهر بذلك ولا تجهر به بينت - مكرراً أن دين الشيعة دين المسلمين الذي أنزله الله سبحانه في كتابه المبين وبينه خاتم الأنبياء والمرسلين والبارز والجد لله بلاد مسلمة لا بلاد كافرة ، والمدالة سائدة فيها ، فعلام لا تجهر به فتلك مساجد الشيعة والحمد لله في جميع أنحاء العراق وفي جميع بلاد إيران وفي الإحناء والبحرين والكويت وغيرها من بلاد المسلمين معمورة بالأذان والعبادات ؛ والشيعة معروفة بالحفاظة على الصلوات وأداء الفرائض في أوقاتها والصدق والأمانة وإن خفي ذلك على الدكتور فلا يخفى على غيره من النصفين . وأنا أعلم أن ما كتبتة الآن لا يجدى نفعاً لأن المسئلة لم تكن مبنية على الإنصاف :

وقد حكى أن رجلاً دخل على الإمام جعفر الصادق فقال له الصادق من أنت قال : أنا رجل أحضر عند العلماء . قال له : أى شيء عندك من الأخبار ؟ قال : أخبرني سفيان الثوري أن جعفر ابن محمد الصادق يقول : إن الله قاعد على العرش ففضل منه من كل جانب من العرش أربعة أصابع . فقال له الإمام : أخبرني بنير هذا مما عندك فذكر له من هذا القليل أموراً كثيرة وكلها ينسبها إلى

الدكتور حقاً فليوقفنا عليه من كتب الشيعة لاسيما كتب غيرهم فإن المرء يؤخذ بمنطقه .

قوله : ومن أقوال الإحصاني في الحشر والمعاد إن هذا البدن المحسوس المركب من العناصر الأربعة يفنى ويذول ولا يعود . الشيعة يعتقدون بالمعاد الجسماني وأن الجسم الذي عمل في الدنيا خيراً أو شراً هو الذي يعود في الآخرة ؛ إلا أن المسئلة مسألة علمية وقد شرحها مشايخنا ولا سيما المرحوم الحاج زين العابدين خان الكرماني في كتابه إيضاح الاشتباه وهو موجود ومطبوع في العراق وإيران .

قوله : وقد أنكر معراج النبي بالبدن المنصوري البشري . الشيعة يعتقدون بمعراج النبي (ص) بروحه وجسمه كما أرضحه صاحب إيضاح الاشتباه الذي أشرت إليه .

قوله : وينسب إليه الفلوق في الأئمة حتى أنه أشركهم مع الله في الخلق وفي القدرة وفي مسائل أخرى هي من صفات الألوهية والربوبية ، هذه فرية أخرى .

قال الشيخ أحمد في كتابه حياة النفس الذي صنّفه في العقائد صحيفة (٤) أعلم أنه واحد في أربعة مراتب لاشريك له فيها ( الأولى ) لاشريك له في ذاته . قال الله سبحانه وتعالى لا تتخفوا آل هيمن إنا نرى إماماً هو إله واحد ( والثانية ) لاشريك له في صفاته قال الله تعالى : ( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ) . ( والثالثة ) لاشريك له في صنعه ، هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ( والرابعة ) لاشريك له في عبادته فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً . هذا مذهبه وهذه عقيدته ولا يضره كفر من كفره إن صبح ما قاله الدكتور فإن من كفر مسلماً فقد كفر . ( قوله ) أما المذهب الشيعي فلم يظهر في وسطه زعيم قوى بعد وفاة خليفة الإحصاني يستطيع الاستمرار على دعاية ذلك المذهب على الرغم من الجهود التي بذلها بعض علمائهم من أمثال الحاج محمد خليل خان الكرماني والملا محمد الماقي .

بينت فيما سبق أن الشيعة لا مذهب لهم غير مذهب الشيعة الأئمة عشرية ، ومن نسب لهم غير ذلك فقد بهتهم واقترى عليهم

بجبل ، إذا انقطع سقطت الآلة الحادة على عنق الرجل فات<sup>(١)</sup> .  
وفي سجن قه سان ميشيل في فرنسا كان السجناء يدفعون  
إلى كهوف في بطن الأرض فيها الأفاعي وضروب الحشرات  
وقد مثلت بالماء الراكد القدر فيموت السجون موتاً بطيئاً ؛  
وربما ضرب أو عذب حتى يموت<sup>(٢)</sup> .

### اللهو

على أننا نرى من تمام البحث ، وقد أوردنا طرقاتاً من ألوان  
التعذيب أن نسوق طرقاتاً من اللهو التي كان يتمتع به بعض  
السجونيين في بعض السجون . حدث أبو علي بن مقلة قال « من  
ظريف ما اتفق لي في نكباتي التي أدتني من الوزارة ، أني أصبحت  
وأنا عبوس مقيد في حجرة من دار ياقوت أمير فارس . وقد  
لحقني من الأياس من الفرج وضيق الصدر ما أقنطني وكاد يظلب  
على عقلي . وكنت أنا وفلان عبوسين مقيدين في بيت واحد ،  
إلا أنا على سبيل ترفيه وإكرام . فدخل علينا كاتب لياقوت  
كان كثيراً ما يجيئنا برسائله ، فقال الأمير يقرأ عليك السلام ،  
ويشرف أخبارك ويعرف عليك قضاء أي حاجة لك . فقلت :  
تقرأ على الأمير السلام وتقول له شاك والله صدرى ، واشتهيت  
أن أشرب على غناء طيب . (قال) والعبوس مني يخاف مني ويقول :  
يا هذا ، والله ما في قلوبنا فضل لهذا . ثم مضى وعاد يقول : الأمير  
يقول حباً وكرامة لك ، أي وقت شئت أقلت : الساعة ، فلم  
يمض إلا ساعة حتى جاءوا بالطعام والشام والفاكهة والتبذير .  
وصف المجلس ، جلست والعبوس مني مقيداً ، وقلت له تعال  
حتى نشرب وتتفاد بأول صوت يفتي به لنا في هذه الساعة :  
وجاءت الغنية ، وغنتنا غناء طيباً ، فقطعتنا يومنا بين لحم وشراب  
وغناء ... »<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر مقالة عن السجون في الصور الوسطى في الهلال ج ٩ ،  
لجنة ٣٢ ، آب سنة ١٩٣١ ص ١٤٦٨ — ١٤٧٢ .

(٢) انظر كتاب : Les Prisons d'Antrefois : Funk Brexiano  
وخصوصاً وصف سجن châtelet حيث يوضع السجناء بين الرامتين  
والجرقان ، والروائح الكريهة والحشرات : ص ٩١ . وانظر صفة أقناس  
الحديد ص ٢٦ ، والتعذيب ص ٣٠ و ٣١ .

(٣) الفرج بعد الساعة ١ — ٤٨

## سجون بغداد

### زمن العباسيين

#### للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٤ —

وكان في نورمبرغ سجن يتناقل الناس أشد الأخبار هولاً  
عما كان السجونون يسامون فيه من البلاء ، وكان يعرف بالسجن  
الأحر . وكأولاً يقلعون أطراف السجاء ، ويقفون ميوهم ،  
ويضطربون على عظامهم بالآلات الحديدية فتسحق وتهرس .  
أو يدفعونهم ليناموا في أسرة ذات مسامير عمدة ، تنخرم  
وتخرأ مؤلماً فتسيل دماؤهم . وكان في السجن نفسه كساء خديني  
يُدخل فيه السجون فيطبق عليه . وكان له من داخله مسامير  
حادة تنفذ في الجسم ، فيقاسي الرجل أنواع الألم حتى يموت .

وكان في مدينة لاهاي سجن يسمى « جيفانجن بورت »  
كان السجونون فيه يُصابون بالجنون قبل أن يموتوا لشدة  
ما كانوا يأتون من المذاب كالنكي بالحديد وقطع الأعناق بحز  
الرؤوس حزاً بطيئاً .

وفي مدينة هاليفنكي كانوا يأتون بالسجون وهو موثق اليدين  
والقدمين فتوضع منته تحت آلة قاطعة مدلاة مربوطة إلى السقف

الإمام جعفر فقال له الإمام جعفر لما سمع منه كثيراً من  
الأكاذيب عليه يا هذا هل تعرف جعفرأ إذا رأيت قال لا . قال  
الإمام جعفر إذا أخبرك جعفر وقال لك إلى ما قلت . كذا وأنا  
برى من هذه الأكاذيب . ما كنت أقول في حق جعفر بن محمد ؟  
قال أنكر عليه ولا أقبل منه وأقول له إن الذي أخبرني أعبد  
منك . قضيتنا مثل هذه القضية وليس لنا إلا أن نقوض أمرنا  
إلى الله سبحانه ونعتمد على الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ما

(البصرة)

عبد القوي على الموسوي

فكان وطائ وفراشي . ركنت أرى « برش » وهي قرية من قرى خراسان جبلاً تعمل فيها من لبود ، كما يفعل بالسيور ، فتجني أحكم شيء . فسوّت لي نفسي أن أعمل من البلد التي تحتي جبلاً . وكان على باب البيت قوم وكلوا بي يحفظوني لا يدخل على منهم أحد ، وإنما يكلموني من خلف الباب ، ويثألونني من تحت ما أقرمه ، فقلت لهم إن أظفاري قد طالت جداً ، وقد أصبحت إلى مقراض . فجاءني رجل بمقراض وقلت لهم إن في هذا البيت فيراناً يؤذوني ويقذروني إذا قربوا مني ، فاقطعوا لي جريدة من النخل تكون عندي أطردهم بها ، فقطعوا لي جريدة من بعض نخل البستان ، ورموا بها إلي . فأخذت وأضرب بها في البيت وأسمهم صوتها أياماً . ثم قشرت الخوص عنها ، وقطعتها على مقدار ما علت أنها تترض في ذلك الخلاء إذا رميت بها . فضمت كل ما قطعته منها بعضه إلى بعض ، وقطعت اللبد ، وضفرت منه جبلاً على ما كنت أرى يعمل برش ثم شددت ما قطعته من الجريدة في رأس الحبل ، ثم رميت به في الكوة ، وعالجه مراراً حتى اعترض فيها . ثم اعتمدت عليها ، وتسقلت إلى الفرفة ، ومن الفرفة إلى سطحها ، وفعلت ذلك أياماً ، وشددت القيد مع ساق . فلما كان ليلة العيد ، وقد شغل الناس وانصرف من كان على الباب صعدت بين المغرب والعشاء إلى الفرفة ، ومن الفرفة إلى سطحها ، ثم تدليت بالحبل إلى بستان مجاور وفرت ... (١) .

صروح الربيع المنجر

وحدث أحد بن المدبر أنه « لنا أسير محمد بن عبد الملك بجبسي ، أدخلت محباً فيه أحد بن إسرائيل وسليمان بن وهب . فجعلت في بيت ثالث . وكنا نتحدث ونأكل جميعاً وربما أدخل إلينا النبيذ فنشرب ونلهو » (١) .

### مدة السجن

ولم يكن للسجن مدة خاصة ، ولم يكن لكل جرم عقوبة ذات أجل معروف . فقد حبس إسحق بن خلف القاتل حتى مات (٢) . وهذا ما يشبه السجن مدى الحياة في أيامنا . وسجن يعقوب بن داود خمسة عشر عاماً (٣) . وحبس رجل في كساء بدرهين سنتين (٤) ، وسجن أبو نواس ثلاثة أشهر (٥) ، وأبو دلامة ليلة واحدة (٦) ، وحبس الرشيد زوراً الفتي لوجد عليه عشر سنين (٧) ، وسجن القاهر إحدى عشرة سنة (٨) ، في حين سجن الفتي في جزيرة بمقالة السندية خمساً وعشرين سنة (٩) . وهذا ما يشبه السجن مع الإبعاد في هذه الأيام .

فكانت ترى أن ليس للسجن أجل محدود وإنما كان الخروج منه منحصراً في سبيل خسة سذكروها فيما يلي .

### الخروج من السجن

أما هذه السبل فهي : (١) الفرار ، (ب) كسر السجن ، (ج) موت الخليفة ، (د) العفو ، (هـ) حيلة يُحتال بها .

#### ١ - الفرار :

أما الفرار فحوادثه كثيرة نسوق إليك منها مثالا . حدث محمد بن القاسم وكان المتوكل قد قبض عليه وسجنه في سجن منفرد قال : كنت أدبر أمرى في التخلص منذ حبست . وكان في البيت الذي حبست فيه خلاء إلى الفرفة التي فوقه وخلافي في الفرفة إلى سطحها . وكنت قد أدخلت معي منذ حبست لبداً .

- (١) الفرج بعد الشدة ج ١ - ١٤٩ .
- (٢) طبقات ابن العز من ١٢٨ .
- (٣) الفرج بعد الشدة ج ١ - ١٤١ .
- (٤) تاريخ بغداد لطيفور ص ٢٥ .
- (٥) الملح والنوادر الحصري ص ١٣٤ .
- (٦) غار القلوب لشمالي ص ٢٠ .
- (٧) الأغاني ج ٥ - ٢٢ .
- (٨) للتنظيم ج ٦ - ٢٦٥ .
- (٩) للتنظيم ج ٦ - ٢٦٥ .

#### مجلس سريرية بنى سويف

يطرح في المناقصة العامة عملية ترميم مكتب عام الشناوية «مركز بنى سويف» وتطلب المقايضة والشروط الخاصة بذلك على ورقة تممة نظير مبلغ ١٠٠ مائة مليم تمناً لها . وتحدد آخر ميعاد قبول المطاوعات ظهر يوم الأربعاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٥ . ٤٣٩٥

(١) الفرج بعد الشدة ج ١ - ١٢٠ ، واظهر بقية الخبر هناك .



في الريف

## غصون الصفصاف

لمؤسّس وإداره هنا سمر

أنت الماء ما أوفى بنات  
علوت وما شمت عليه كبرا  
حنوت على وسادته مسجي  
لست جينه الساجي فأصني  
فهل يرعى حقوق آب نبات  
إذا بلغوا رجولهم وشبوا  
بضفته ، وما أوفى البنيانا  
فمدت إليه تقضين الديونا  
وحيدا لا مهدت أو سينا  
وأشرق وجنة وردنا عيونا  
ويفسهن بعض الساقطينا  
تفاضوا عن حقوق الوالدينا

## غورام

(أحبك حين : حب الهوى)  
تزيدن سحراً بطول الدلال  
غزوت القلوب فما قاومت  
أماجه في سيال ملح  
وإني القنيس الذي تعرفين  
عفيف الخلال وإن شمتني  
جمال الرجولة أن تستبد  
وما هو ظن ولكنه  
وحبا لأنك لم تخضعين  
كأما تعابا على الظالمين  
ولكن قلبك حصن حصين  
وأحميه من كل واش ظنين  
وإني الحب الذي تجهلين<sup>(١)</sup>  
عفيف النضال كنسر طمين  
وسحر الأثوة أن تستكين  
يقين الجسود وإرث القرون

\*\*\*

تجارب آدم في خاطري  
لبست الدلال ولايتني  
فتمشي إلى الحب مأسودة  
وما أعذب القنص بعد الصيال  
فيا بنت حواء من تحدعين ؟  
لكي تستريدي مفرها من الحنين  
يشور هواك ويسنو الجبين  
وأحل اللقاء بعد صبر السنين

\*\*\*

غرامى طوفان شوق عتيف  
طلحت بآب نوح وأودت به  
وقال سآرى إلى فة  
قلبك أك داء فاني الدواء  
ولا فاك من عاصم  
فلا تسخرى فتظني الظنون  
شكوكك تمثت بنور اليقين  
فضل وكان من الفرقين  
وإن أك ماء فاني السفين  
ولا مهرب من سمأى المحتون

إدوار هنا سمر

(الاسكتنبورية)

(١) القنيس هنا بمعنى العائد .

هدالك فاتن الوردات غص  
تدنى للياه كأن تقرأ  
تقول ، إن بي شجنا شيبا  
وما ألقى إليك الماء سحما  
تتابع غير مكثرت وولى  
إذا وهب الندى أجراه دما  
فإن هب النسيم معطرات  
ومكك لهفة وحننا غراما  
ورقرق في غدا ترك التشاوى  
رعثت للمسه ولويت عطفنا  
فواها للحياة تمذينا  
وما أشقى المحبين الحيارى  
يرف نصارة ويمس ليناً<sup>(١)</sup>  
يقبل أويهم بأن بيننا<sup>(٢)</sup>  
بأى هوى قديم همسينا  
يادلك الحسان ولا جفونا  
وجفتك مظهر الماء دفينا  
شجيا في تسلسله سخيئا  
غلاظه يمس يزدهينا  
وأن بكل ناحية أيتنا  
مع الهمسات عطر الياسمين  
وعدت إلى نهيرك همسينا  
بحب غائب وتمذينا  
إذا نكبوا بحب العرضينا

\*\*\*

وقفت إلى جوارك نسوهم  
ترفرف ثم أطيأ حيارى  
تظالني الزوارق سابعات  
يرف بكل سابعة شراع  
كأن السابعات إذا تلاقى  
فإن لمبت بها النسبات حيناً  
تمثل لي شيوخ (في مسوح  
وقد دفنوا أ كفههم دماء  
غريب النار أبكى الغائين  
بلأن الجو ترجيماً حزينا  
قييل الأفق غلاء فتونا  
رفيق الخلق يستهوى الميونا  
سحائم قد هبطن ليستمين  
وشقت شملها التيسار حيناً  
طوال الردن يعض) راكينا  
وقد غصوا النواظر خاشعينا

\*\*\*

(١) الهدالك : — ما تهلك من الأغصان ، يقال أردية ذوات

هدالك .

(٢) تدنى : — أى دنا قليلا قليلا .



عن ابن الزبير ونوفيه الحكيم :

قرأت في كتاب « محمد » للأستاذ توفيق الحكيم في صفحة ٢٥١ قوله :

« بحمى وطيس القتال ويشخن السامون أعداءهم قتلاً وأسرًا وسلبًا . يستلب عبد الله بن الزبير أذراع أحد القتلى ويأسر أُمّية ابن خلف وابنه » .

عبد الله بن الزبير (رافعاً منه) .

هذا أنت يا أمية بن خلف !... الخ .

نسجبت وحق لي أن أعجب فإني لأعلم أن عبد الله بن الزبير كان ابن سنة واحدة يوم غزوة بدر ، فكيف استطاع الأستاذ أن يجعل من ابن السنة مارداً يرفع السيوف ، ويستلب الأذراع ، ويأسر الرجال ؟

إن الذي أسر أمية بن خلف هو عبد الرحمن بن عوف ، وكان صديقاً حميماً له في مكة قبل الإسلام ، وما شهدت مكة عبد الله بن الزبير بمد .

فأخذت أحقق هذه الواقعة ، فلم أجِدْ مؤرخاً واحداً ، ولا مرجعاً واحداً قد ذكر ما ذكره الأستاذ فأسفت فقد كنت أود أن أجد للأستاذ مخرجاً ، وهاك ما أورده الطبري في حادثة أسر أمية بن خلف :

« ... عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة ، وكان اسمي عبد عمرو فسميت حين أسلمت عبد الرحمن ونحن بمكة ، فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو أرغبت عن اسمي سحاً كه أبوك ، فأقول : نعم . فيقول فإني لا أعرف الرحمن ، فأجل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال فكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه فقلت أجعل بيني وبينك يا أبا علي ما شئت قال : فانت عبد الإله . قلت : نعم فكنت إذا مرتبت به قال : يا عبد الإله فأجيبه ، فأحدثت معه حتى إذا كان يوم بدر صهرت به

وهو واقف مع ابنه علي بن أمية أخذاً بيده ومن أذراع قد استلبها ، فأنا أحليها فلما رأي قال : يا عبد عمرو ، قد أجب فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك في فأنا خير لك من هذه الأذرع التي معك ، قال قلت : نعم هلم إذا ، قال : فطرح الأذرع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه علي وهو يقول : ما رأيت كاللوم قط ، أما لكم حاجة في اللان . قال ثم خرجت أمشي بهما » .

من هذا يتضح أن عبد الله بن الزبير قد ولد في السنة الأولى وأن غزوة بدر قد وقعت في السنة الثانية ، وأن عبد الرحمن بن عوف هو الذي أسر أمية بن خلف . لذلك لم التنبيه حتى إذا ما ذكر الأستاذ في إعادة طبع كتابه القيم ، عمل على إعادة ابن الزبير إلى مهده ، واستل منه سيفه الذي رقه قبل أوانه .

عبد الحميد جودة السحار

خطأ تاريخي في كتاب (علي صفاف دجلة والفرات) :

قرأت في كتاب (علي صفاف دجلة والفرات) لمؤلفه الأستاذ طاهر الطنحاني قوله :

« وكانت الشيعة قد بايعت محمد بن علي بن الحسين المعروف بابن الحنفية على طلب الخلافة بعد تنازل الحسن بن علي عنها لماوية ابن أبي سفيان سنة ٤١ هجرية » (١) . فوجدت فيه خطأين تاريخيين هما :

(١) إن محمداً المعروف بابن الحنفية لم يكن ابن علي بن الحسين . بل هو ابن علي بن أبي طالب « ع » نفساً وأخو الحسين بن علي بن أبي طالب لأبيه .

(٢) لم تكن الشيعة قد بايعته أئبته في زمن الحسن بن علي بعد تنازله عن الخلافة بل بايعت أخاه الحسين بعد وفاته وإذا قلنا : على قول المؤلف فعلى بن الحسين لم نهدله ولأنا في ذلك الوقت بل لم يكن متزوجاً وإنما كان عمره لا يتجاوز الثلاث سنوات .

عبد الصمد تركي الجعفري (الكويت)

## توقيع عبد الله بن طاهر

في العدد ٦٤٠ من مجلة « الرسالة » انراء غلامه المحققين ،  
وأديب العربية — غير مدافع — في فلسطين ، وأحد أقدادها في  
العالم العربي الأستاذ الجليل محمد إسحاق التاشيبي أمد الله في عمره  
وتقنا به ، ما يلي :

قال إلخبري في شرح مقاماته : « ومن توقيعات عبد الله  
ابن طاهر فيها سمته من أبي غرك عرك فصار قصار ذلك ذلك ،  
فاخض فاجش فملك ، فملك بهذا تها .

أقول : يطلب على الظن أن هذه ( الرسالة ) من وضع علماء  
البدیع ، فهم يقدمونها مثلاً للجناس المصحف التي غائل وكناء  
وضماً واختلافاً قطعاً بحيث لو زال إجماع أحدهما لم يتميز من  
الأخر ، وفي اختلاف نسبتها إلى واضعها دليل على هذا ، والراجح  
أن واضعها ذهب في وصفها إلى ذكر ستة جناسات مصحفات  
لا أربعة ، وكتابتها على هذا تكون على الوجه التالي

( غرك عرك فصار قصار ذلك فاجش فاجش فملك ،  
فملك بهذا تها ) متبدلاً بكلمة ( فملك ) : ( فملك ) وبكلمة  
( تها ) كلمة ( تها ) دون هز ، تحقيقاً لما ذهب إليه واضعها  
من الجناس للمصحف

سوف كلمة الأستاذ الجليل نفسها تحقيق في ( حركة ) ( الشب )  
قال : « والفتح لنة وليس بخطأ كما قال الحريري في ( الفرة ) ،  
وليس هو من كلام العامة كما ذكر ابن الأثير في ( النهاية ) » .

أقول : شيخ أديب القدس اليوم من أعظم أساطين اللغة  
والأدب تعلقاً بشيخ المرة وفيلسوفها في الأسي ، وهو من  
أكثرهم إزتياعاً لأرائه وأبحاثه وتحقيقاته ، وأنا — على هذا —  
مورداً ما ذكره فيلسوف المرة في ( الشب ) هذا

جاء في كتاب « عبث الوليد » — وهو ما علقه أبو العلاء  
على ديوان الشاعر الطبوع أبي عباد البحتري — في أثناء تعليقه  
على قصيدته التي مدح بها أبا عيسى بن ماعد ، والتي مطلعها :  
كيف به والزمان يهرب به ماضي شباب أغذت في طلبه  
والتي منها :

إحاطة بالصواب تومن من لجاهه في المجال أو شنبه  
قال رحمه الله :

« الاختيار عند أصحاب النقل الشب يسكون الثين كما قال :

لعممة المفتاح في دائد النسخي

أحب إليكم من طمان ذوي الشب

وقد جاء شب في بعض الكلام ، وقد شهر القول في أن

الثاني ، إذا كان أوسطه حرفاً من حروف الحلق الستة أجاز

الكوفيون فيه التحريك والإسكان »

قلت : وابن جني يرى في خصائصه هذا ولا يستثنى .

ولما كان ( الشب ) من خصائص ( الشب ) ونصحيه

حار في أمره العلماء وأرباب الفكر ، قرأوا أن ( التكين ) أزم

من ( الحركة ) في هذا المعنى ، حتى ولو كان فيه استتقال في اللفظ

والبنى — والفتحة أخف الحركات — ولم يحركه إلا أهل الكوفة

وليس بينهم في الشب ملتبس ، وبتهم على السياسة والفتوة

شغب قبل أن يكون على اللغة والنحو شغباً ، فقد خذلوا علياً

( كرم الله وجهه ) وغرروا بأبنائه من بعده قبل أن يودوا واضع

( الكتاب ) سيويه

رائد فافرة

( فلسطين )

أستاذ الأدب العربي في مدرسة غزة الثانوية

## إعلان

وزارة العدل في حاجة إلى كتب  
وموسوعات قانونية لتغذية بعض مكاتب  
المحاكم فعل من لديه شيء منها ويرغب  
في بيعه أن يخبر سعادة وكيل وزارة  
العدل مع إرسال قائمة بأسماء الكتب  
ومؤلفيها وتاريخ طبعتها والتمن المطلوب  
لكل منها . وذلك في بمرمدة لا تتجاوز  
عشرة أيام من تاريخ نشر ذلك الإعلان .

١٤١٤

— من الفينة والثقينة ، أعني — أحيانا .

— سأحضر لك سيارة أجرة ، إذن .  
 — حسن ... أشكرك .  
 — انتظري هنا ( يذهب سوب الباب )  
 — قب .  
 — ( بفزع ) : ماذا حدث ؟  
 — من فضلك تعال واجلس برهة ... أريد أن أقول لك شيئا .  
 — ولكن ...  
 — أرجوك ... سأقبل حقا ... ويقول الصدق سأخفف من شعورك بقسوتك ...  
 — يهمني ألا أراك نعمة .  
 — ( بحدة ) نعمة !! إنني يائسة .. يا للعار الأليم ... ألا أملك ذخيرة من الكلمات أعبرها عن ازدرائي الكلى من نفسي .  
 — لم أفهم !!  
 — أنا ، لست كما ظننت أن أكون بتاتا .  
 — ( مرتبكا ) : لقد تغير ظني بعد الدقائق القليلة الأولى :  
 — ولهذا طلبت مني الخروج ؟  
 — لا ، ليس هذا بالضبط . أعني ...  
 — أوه ، أشكرك كثيرا ... إنك عزيز ... إنه من حسن حظي ... إنني ...  
 — أقول ... من فضلك ...  
 — ( مستجبة لوجها ) . حسن جدا ... سوف لا أصرخ صرخة أخرى ... يجب أن تعتقد أنني حقاء ... إنني ... أسوأ من هذا بكثير . اصغ إلى ، إنني ، بالضبط ، فتاة عادية ... أسكن في رتلانديت مع عمتي ، أذهب إلى اللامى وأراقص وأرتض في الحدائق وأساعد في جمع الإحسان للفقراء ...  
 — ولكنني ...  
 — لا تؤخذ هكذا ... فما يزيد الأمر صعوبة أن أخبرك بكل شيء ...  
 — إن مشكلة المرأة في العصر الحديث ، وحياتي المعقدة الكلية التي أحيائها - حياة المرأة على العموم - دفناني إلى قراءة مقدار وافر مما أنتجه جميع الكتاب المحدثين قريبا . قرأت الرسائل والأبحاث التي تعالج شئون المرأة وتبحث في المسائل الجنسية الحادة فشغلت نفسي ، وأهمني هنا السؤال :  
 — لم لا يكون للنساء من فرص التحارب بالرجال ؟ ؟ فيحيون حياتهم ... ولا يخفى عليك ما أقصده طبعاً ، وكنت أعتقد أنني

— أقسم إنني رأيتك قبل ذلك في مكان ما .  
 — لست موافقة لك على هذا .  
 — من الحاقة أن تفعل . اسمي ، إنني ...  
 — ( فاقرة سوب الباب ) ماذا ؟  
 — أوه ، لا شيء .  
 — ( بعد صمت قصير ) : يسرنى ألا تنسى ذلك .  
 — نعم .  
 — ( فاقرة بصرها ) أوه ، لا شيء .  
 — ( بقتة ) : لا فائدة ، لا يمكنى ...  
 — لا يمكنك ماذا ؟  
 — لا يمكنى أن أذهب معك أكثر من هذا ( بحدة )  
 — اسمي ، لا يهمني ما تظنينه بي ، لاشك أنك تضحكين مني طول الوقت ... ولكن هذا لا يعني ... أعني ... اسمي ... ألا ترحلين !  
 — ( ويدعا فوق جيبها ) أتعني ؟ ... أوه ، يا عزيزي ( تسقط بين ذراعيه منسيا عليها ) .  
 — يا إلهي ( يروح لها ) إنه غفيف ... غفيف ! أتنهني ، بحق السماء ... أوه ، إنه مرعب ! ( يستدعا يونسفة ) .  
 — ( تنفتح مينيا ) أوه ، ماذا صنعت ؟  
 — أغشى عليك .  
 — ( تنفجرباكية ) : أوه غفيف ... مرعب ... !  
 — ( تستدل على حافة الأريكة وتدفع رأسها بين ذراعيها ) .  
 — أريد أن أقول ، لم كل هذا ؟ ما قصصت أن أكون نفلًا ... أقولها غلصا ...  
 — ( متخذه ) : يا للعار ... يا للعار ...  
 — اشربي هذا ( يقدم لها كأسها التي لم تتنوقها بعد )  
 — ( فاقرة الكلاس بيذا ) : خذها بيذا ، إنها تنمبني .  
 — حسن جدا ، أريد أن أقول - بكل أسف ... أرجوك أن تكفي عن الصراخ .  
 — أتركني وحيدة ... دقيقة واحدة .  
 — وبعدها أكون على ما يرام . ( تجلس )  
 — إنني وحش .  
 — لست كذلك ... شكراً لله ( تفت ) يجب أن أرحل حالا .  
 — أين تسكنين ؟  
 — في كفسنجتن .  
 — سأوصلك حتى للنزل .  
 — أوه ، لا ، أرجوك لا ... ليس من الضروري ...

فتاة مصرية ماهرة اتتبع بالجرية المعلقة ، وعواطفى وانحته ولو أنها خائفة ... تأملنى ... تأملنى ... ( تضحك ضحكة متبرية ) .

ولقد رحلت عمتى أول من أمس إلى بورنموث لقضاء أسبوع وقد قررت أن أقوم بتجربتى ... لأرى الحياة ... الحياة الحقيقية العملية ... فى الأحياء المعلقة ... فالشباب من الرجال مسموح لهم بالمرح والبهجة شأوا ليمتصوا أنفسهم ... فلم لا يتاح للشابات الفرص نفسها ؟ ؟

خرجت بالأسس وقصبت الملعى وحيدة ، وعزمت - بحساسة ملححة - على أن أعود إلى المنزل مشيا على الأقدام ، ولكن أنهر المطر غزيراً فأسرعت إلى السيارة حيث آويت إلى الفراش مباشرة . واليلة أكدت العزم . فتناولت غداً وحيدة فى مطعم بشارع أكسفورد ، ثم سرت فى ميدان بيكاديللى فهالمازكت ثم على الشاطئ حيث عدت إلى ميدان ليستر ، وجلست على كرسي وبسط الحديقة الصغيرة حتى أقبل رجل سكران فذر وجلس بجوارى ، فحمت وطودت المير متاملة الناس أجمعين ... مئات بعد مئات منهم ... يتدققون خروجاً من الملامى ويترحمون الأمازيغ ... فكان فى الواقع شعوراً مثيراً ... ولا تستطيع إدراك هذا الأمر - كما أعلم - لأنك رجل قضيت حياتك غير مراقب ولا مدلل ... بل شعجعت على أن تكون طليقاً حراً ... ولكن بالنسبة لى قد هزنى ذلك الأمر . وكنت وحيدة سيئة نفسى إطلاقاً ... وأدركت مبلغ جهدى وتبى ، فخرجت على أخذ الشارب وتناولت فنجاناً من الشكولاتة . وكان يشغل المائدة المجاورة لى سيدتان مزيجتان وشاب عليه سباه المجد وقد بدأتا تماركانه ، ولو أن ما قالتاه له كان من البلاء بمكان إلا أنه كان مضحكاً للغاية ، وفى النهاية خرجوا جميعاً وهم يتشائمون كالغناداء ! عندئذ خرجت ثانية وقد تبدل كل شيء ، فقد اختفى الزحام وهذات حركة المرور اللهم إلا بضع سيارات تجرى بسرعة ، فأسرعت الخلعى - لأننى رأيت النساء حولى يتلكان - فاصلة بيكاديللى . ولم أكده

أحاذى بيركلاى حتى اقتبعر أحد الصاييح المعلقة فى وسط الشارع فأزعجنى وراعى انفجاره الفاجئ فضحك من نفسى وابتهيدات أقلل من سرعتى وأخذت أراقب كل شيء حولى ، ... فوجوه الناس من أعرب وأدهش ما لاحظت ... ثم ... ثم ... أوه يا عزيزى [ ليل جفونها متقبلة لمة دليقة ] ثم انقسم لى رجل ، وظننت لأول وهلة أنى أعرفه ، فتلفت حولى ولكنه بقى واقفاً مكانه ، ثم أخذ يتأثرنى ، فأسرعت دفقت قلبى وحاولت أن أستجمع شتات

أفصاى النافرة عسى أن تخمد والنس فى هدوء نفسى طريق الخلاص ، ولكننى عجزت ، وعلى غير وعى منى جريت إلى الجانب الآخر من الشارع ، ومن المؤكد أنه سخر منى ، وفى شارع كرزن أخذت ألوم نفسى بعد أن استجمعت قواى ... لقد كنت جبانة ... ضيفة ... غبية ... وعلى ذلك ، وزيادة فى معاقبة نفسى من أجل فقدانها الشجاعة والإقدام لا من أجل شيء آخر ، فكرت أن أستسلم لأى رجل كان ... أوه ، أنا أعلم أنه شيء - مهن حقير ... لا تنظر إلى هكذا ... ولكن تذكر أن هذا كان نتيجة دراسة الشهور بل السنين الطويلة للأدب المصرية ، فرغبت فى تجربة الحياة ، ولم أكن أخشى على نفسى من شيء ... فأبني قادرة كل القدرة على سياة عفانى ... وإنما أردت الاستطلاع ليس غير ... وعند ما قابلتك فى شارع داون كانت ثورة العزم مائة جوانحى . أوه يا عزيزى ... أليس كل هذا غيفاً ؟ [ تنهد ] إنه مرعب للغاية حتى لأن يقال ...

- اسمعى ، إنها لم تكن - كما تعلمين - . ولنى أفوه بكلمة .  
- أعلم أنه لا يمكنك ... ولكن ... أشعر أنه لا يمكننى أن أتق العار عن هذه التجربة .

- لا عار قط .  
- كم أتمنى أن ألبأ إلى دبر ، هذه اللحظة مباشرة .  
- إنك تفكرين فى الأمر على أنه محزنة - بينما هو مضحك - حينما تحللينه .

- عندما أتزوج ويتقدم بى العمر أستعيد ذكراها على أنها كانت فكاهة ، ولكن إلى ذلك الوقت ، سأخبر راكمة على ركبتى كلما فكرت فيها .

- لم أزر لندن وحيداً حتى هذا الأسبوع ... وطلب منى أحد الأصدقاء أن أقيم هنا فى هذا الطابق وتركبى منفرداً وذهب لقضاء بعض شؤنه .

- هل هذا صحيح ... حقاً  
- نعم ... ولهذا السبب طلبت منك فى المبدأ أن تخرجى ... لأننى خفت الفساد .

- أحقاً ما تقول ؟  
- نعم ... بكل تأكيد ، فقد ظننت أنك تضحكين منى وتهزأين بى .

- أهزأ ... يا إله السماء ! !  
- نعم ... أليس من الحق أن يخشى المرء دائماً أن يكون



— في المطبخ . سأذهب وأملؤها ونستطيع أن نطبخها هنا ،  
فالنار في المدفأة كافية . ويمكنك أن تخرجي فنجانين من الدولاب  
وكذلك بعض البسكوت .

— حسن .

( يخرج فتأخذ من الدولاب فنجانين وبعض البسكوت وتضعها  
على المنضدة ) .

— ( من الخارج ) : كم ملققة من الشاي أضعتها في الوعاء ؟

— ( متجهة نحو الباب ) : إثنين ونصف كما أعتقد .

— حسن . تذهب نحو المدفأة وتحرك النار . ويدخل حاملا صينية  
صغيرة عليها غلاية ووعاء الشاي )

لم أضع ماء كثيراً في الغلاية حتى يغلي بسرعة ( يضع الثلاث على النار )

— والآل علينا أن نأخذ أنفسنا بالصبر ( تجلس على الأريكة )

— يمكننا أن لا نلقى بالاً إليها حتى ولو غلت .

— نعم ، أعتقد أن تلك هي الطريقة الوحيدة .

— ما اسمك ؟

— ( مترددة ) أوه ...

— ( بسرعة ) آسف جداً ... لقد نسيت ... إذا كان

حرياً بك تبدأيني بالسؤال ... اسمي هـج لومبارد .

— واسمى ماري جيفون .

— إنه اسم جميل .

— أفكر دائماً في أنه اسم إنجليزي فآر ... ولكنه على

ما ترى جميل ...

— أوه ، وقد دفعني إلى حبه كونه إنجليزياً .

— وأخيراً ، يتلهف قلبي على شيء أجنبي ...

— أترأ بعيداً أحدثته الآداب المصرية في الشباب .

— والآل ، لا تهزأ بي ...

— آسف ...

— أنت تعلم من نكون ، أليس كذلك ؟

— لا ، من ؟

— إننا نحيا التمدين .

— أنحن هكذا ؟

— نعم ، إننا نحيا - ولو أننا - في الحقيقة متوسطا التفكير

عاديان ، إلا أننا غصنا إلى الأعماق ، ولكن كلامنا حاول بمشقة

جاهدة أن يحافظ على الأمان والسلام وسط هذه الحياة المصرية .

فلن كنا قد تمادينا قليلاً لكننا قد أجهزنا على فضيلتنا الحقيقية .

— أرى أنك جد ملهمة :

موضع سخرة ؟ والواقع أنه قلما يحدث هذا .

— أقل من أي شيء .

— جميع أصدقائي يقولون مثل هذا عند ما يقضون أوقات

الخلاعة والسرور بالمدينة ... كما تعلمين .

— نعم .

— أفكر في نفسي ، إنها لفرصة عجيبة ، أن أبقى وحيداً ...

وكل شيء ..

— تماماً مثلاً أفكر .

— نعم بالضبط .

— كم عمرك ؟

— واحد وثلاثون عاماً .

— وأنا أيضاً .

— إنني جد آسف إن كنت قد أفلقتك وسببت لك الفزع .

— لقد كنت شقوفاً وحريصاً منصفاً . ولست أدري ؟ ماذا

كنت أفضل لو كنت مع غيرك .

— وأنا أيضاً ، لست أدري .

— كم أود أن تريق هذا الوسكى ... فإني أكره حتى رائحته .

— لست مولعاً به ... ألا تجهز شايًا ؟

— لا . بل يجب أن أذهب الآن ... حقيقة ...

— إن هذا ليسرني ... أمتا كدة أنت ؟

— نعم كل التأكيد ... يجب أن أذهب .

— حسن ( يذهب له التافهة ) لا بد أن تكون مراكبة في

لموقف . ما هذا ؟ إن المطر ينهر ...

— أوه !! ألا ترى مراكبة هناك ؟

— ( ينظر من خلال زجاج التافهة ) : لا ... من سوء الحظ ...

— سأجد واحدة سريعاً .

— لا - اسمي - انتظري قليلاً حتى ينقطع المطر . ويمكننا

تناول الشاي بعد كل هذا ...

— ولكن ... ولكن ...

— نحن أصدقاء ... ألسنا كذلك ؟ ( ورعد يده )

— نعم - حسن - منذ فترة وجيزة . ( يتماخنان )

— الأفضل أن نخلي معطفك ثانية .

— حسن . ( يساعدها في خلع المعطف ويضعه على الكرسي )

— والآل فلنجهز الشاي

— أين الغلاية ؟

- (جأة) أوه ، إياك ... إياك ...  
 — إياي ، ماذا ؟  
 — إياك أنت تقودني إلى الزلل ... سوف تقوض كل ما أسديته لي من معروف !  
 — المعروف الذي قت به ؟؟ عما ذا تتكلمين ؟  
 — لقد فعلت كل طيبة في العالم نحوى ... إنك أمين كل الأمانة ... ولطيف ... وفي الحقيقة لم أهر شعورك بقدر ما هزله اسمي  
 — لست أرى أى إحسان في هذا ؟  
 — لقد أهدنتني من نفسي — التي تدوى في عواطف الفائرة —  
 ولكنها الحقيقة الكاملة .  
 — وهذا عين ما فعلته نحوى — لقد جعلتني أحس العار من نفسي — ولا سباً حينها صرخت .  
 — إنني مسرورة .  
 — وكذلك أنا ... ولم سألتني ألا أقودك إلى الزلل ؟  
 — (بغث) لأنني كنت ماهرة ... وكنت مفكرة عصرية .  
 — لا ، لم تكوني كذلك ... ولكنك كنت جيلة .  
 — لا تكن أحمق .  
 — ولكنك كنت ... إنه غفيف ...  
 — (غمة) لا تعد إليها مرة أخرى ... مطلقاً ، مطلقاً ، إياك  
 — إياي أن أعود لماذا ؟  
 — من الآن فصاعداً سأكون على حقيقتي — نفسي الحقيقية —  
 لا أن أكون نسخة من شلسي .  
 — وأنا أيضاً ... لن أكون بعد الآن صورة لابن المدينة الشاب  
 — يا للبلهاء !!  
 — لقد طرأت على فكرة ...  
 — وما هي ... ؟  
 — اصفي لي ... لم لا تكون ...  
 — الماء يغلي .  
 — أوه ... (نهنش) لا ... لم يغل بعد .  
 — رأيت بعض البخار يتصاعد من الغلاية .  
 — قليلاً جداً ، حينما يتصبب الماء يكون قد تم غليانه ...  
 — ماذا كنت تريد أن تقول ؟  
 — سوف لا أقولها ... بعد ذلك ...  
 — ولله ؟  
 — أخشى أن أهدم ما بنيت  
 — أوه !! (يستأن قلباً)  
 — ألم يتقطع هطول المطر ؟ (نهنش وتتوجه إلى النافذة) .  
 — ألا تزال السماء تعطر ؟  
 — ليست من السوء كما كانت — ومن السب أن نحكم ونحن هنا — وإنما يمكن المرء أن يبدى رأيه مما يرى من أحوال .  
 — (يقترّب من النافذة بجوارها) ألا تلمح الأخاريز كالزجاج .  
 — حقاً ، بالضبط ... وإذا نظرت من الركن قليلاً أمكنك أن تلمح المتزّه (تلمق وجهها بالزجاج) .  
 — نعم ، إن قربه مما يزيد البهجة ...  
 — من أى جهات الريف قدست ؟  
 — من أجام كنت ...  
 — لا !!  
 — ولماذا ؟  
 — إنني خيرة بتلك الجهة ... بين راي وفولكستون ...  
 — بالضبط ... إيفيتشيرش ... إن منزلي بالقرب من إيفيتشيرش .  
 — ما أحبا إلى نفسي ... بل ما أبهج شميم البحر ، ورؤية الآجام وحواجز الماء والقضاء هناك .  
 — كم أنا سعيد لأنك تعرفينها ... وتحبينها ...  
 — انظر . حقاً . إن الماء يغلي الآن .  
 — تعالى وامسكي وعاء الشاي .  
 (يقضمان معاً بجوار النار . ويجهزان الشاي ثم يقضمان وعاء الشاي على الصينية) .  
 لنشرب الشاي ونحن جلوس على الأريكة ... ويمكننا أن نضع الصينية على ركبتينا .  
 — حسن . سأجلس هنا ... ناولتينا ...  
 — جميل . البسكريت أولاً ...  
 ( يضع الوعاء على الأرض بجوار أقدامهما ، ثم يسطها الصينية ويجلس بجوارها )  
 — كن على حذر .  
 — أليست جلسة مريحة !!  
 — في الحقيقة لم تستقر بعد ... ولكن لا بأس . (تصب الشاي)  
 — أظن أنني لم أحب إنساناً مثل هذا الحب ... وبهذه السرعة ... من قبل .  
 — ما هذا الهراء !! ... أتريد سكرًا ؟  
 — نعم ، من فضلك ... قطعتين .

- كان ينجيل إلى منذ بضعة أشهر أنني أفضل الشاي ممزوجا  
بالييمون ... بدلا من اللبن .
- رومية صحيحة ... كما يظهر !!
- (مفتحة) : بالذبط .
- إنني أود في الحقيقة أن أقول لك شيئا صاماً ...  
ولكنك تمنعيني .
- أعرف ذلك .
- ماذا ... ؟
- لنفس الأسباب التي قلها ... سوف تهدم كل شيء ...
- لا ... لم أفكر في هذا ...
- دون أن تلجأنا إلى المجازفة ، بعد ؟
- ( بكآبة ) : لك ذلك ... ( يرتشقان الشاي ق هدوء )
- ما ذا تعمل ؟
- ما ذا تصدين ؟
- أعني ما صناعتك ؟
- إنني مهياً لأن أكون جندياً .
- أوه ...
- أسوأ ما في الموضوع ... إذ معنى ذلك الهند ...
- أوه ، ما أعجب حياة هذا الصنف من الجنود .
- نعم ... الحياة وسط الأبهاء الفسيحة ، والارواح المعلقة  
في الأسقف وهي تتأرجح ، وصيل الثلج في الكؤوس ، والنساء  
الجيلات اللاتي يتأودن في مشيتهن كالمردة مرتديات أوابهن  
البراقة اللامعة ...
- وارتداء السراويل ( البنطلونات ) البيضاء النظيفة ولعبة  
البولو والمفاجآت الشعبية والمحاورات التي تهز الشعور ... ألا  
ما أحب كل أولئك إلى نفسي !!!
- أنتظين أنك تحيينها ؟
- أي نعم ... ولو أنها في البداية ... تبدو غريبة ...
- كم يترني أنك لم تكرهي الفكرة ...
- كم الساعة الآن ؟
- ( واضحا فتجانه ) : لم يتأخر الوقت ... انتظري ...  
( يربها ساعته )
- ( تضع فتجتها بشدة فتسم فرقتي ) يجب أن أذهب الآن ...
- حالا ... يجب أن أذهب .
- أوه ...
- حتى ولو كانت تعطّر سيولا جارفة ... ( توجه نحو النافذة )
- بودي أن تنتظري بعض الوقت .
- من الحق أن أعمل في الخروج ... فإني أحس تعباً  
مضنياً ، كما أعتقد أنك تعب أيضاً ... ويجب أن ننام ونستريح .
- وقد سكن المطر تماماً ... وأرى عربة منتظرة هناك ...
- فلتذهب تلك العربة إلى الجحيم !
- والآن .
- رقيت أن أراقبك في المسير حتى تجد أخرى .
- يمكنك أن توصلي إلى الخارج .
- حسن .
- ساعدني على ارتداء معطفي .
- لك ذلك .
- ( ياعدها على ارتداء معطفا ... ثم يأخذ بيديها )
- كم أنا مدين لك بالشكر ... على هذه الفترة السعيدة ...
- حقاً ، ما أسعدني بها ...
- دعيني أعبر لك ... الآن .
- عماذا ؟
- أتقبليني زوجاً ؟
- لا تكن أحمق .
- لست أحمق . وإنما أعني ما أقول .
- لم يختبر كل منا الآخر .
- بالعكس ... فقد خبر كل منا الآخر كل الاختبار .
- كلا ... لم يكن الوقت فيسحاً .
- لقد تولت بك ...
- كلا ... بالتأكيد كلا ... إذ لا يمكنك ...
- وله ؟
- لست أدري .
- أتحاولين ؟
- ( تطرق ) : إياك ... وإلا فسأصرخ ثانية .
- ما أعزك إلى قلبي .
- ( يضعها في صدره ويهوى على شفتيها قتيلاً )
- ( مرتجفة ) : والآن كادت تسقط قبعتي .
- ( يخرجان معاً وهو يحولها بذراعه بحنان )
- ستار ... ما
- احمد فتحي عبر الثواب

نشره دبره كتاب :

# رفع عن البلاد

للاستاذ

أحمد الزيات

وفر زيرت عليه فصول لم نشر

ونع ١٥ قرشاً

ومن المكاتب الشهيرة

يطلب من إدارة « الرسالة »

## سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية دفاتر الشروط والمواصفات الخاصة بالمصلحة

يتشرف المدير العام بلفت نظر حضرات الذين يهمهم الحصول على دفاتر الشروط والمواصفات الخاصة بالتفاصيل الكبيرة التي  
تشهرها المصلحة من وقت لآخر أن يتفضلوا بطلبها من الجهات المختصة مقابل دفع قيمتها حتى يستطيعوا التسامح في توريد ما يلزم  
للسكك الحديدية من المهمات المختلفة .

لا تنسوا الحصول على دفاتر الشروط  
والمواصفات والاطلاع على الجرائد اليومية